احتكار أسرة زكاريا الجنويَّة لتجارة الشب في فوكايا وتداعياته

(١٢٧٥-١٣١٤م)

د/ محمد دسوقى محمد حسن حسن

كلية الآداب - جامعة الفيوم

لم يكن الطريق أمام تاجر العصور الوسطى ممهدًا وسهلًا، بل كان محفوفًا بكثيرٍ من المخاطر والمتاعب، إلا أنه استطاع أن يتغلب **على كثيرٍ منها، ويعوض خسائره بإبرام عقود التأمين والدفاع عن النفس والتجارة، مستغلًا نفوذ حكوماته،** خاصةً تجار المدن الإيطالية، وبشكلٍ أدق جنوا Genoa والبندقية Venice، فقد لعبت الأولى دورًا أقل أهمية من الثانية في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية قبل عام ١٢٦١م، فلم يكن لديها إلا الإلحاح للمتاجرة في أسواق القسطنطينية، غير أنها استعاضت عن ذلك بأسواق بلاد الشام، في الوقت الذي هيمنت فيه البندقية على التجارة داخل الإمبراطورية البيزنطية، وليس هذا فحسب، بل ساهمت في الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م [١]، وتحكمت؛ بل وقاسمت اللاتين في أملاك الإمبراطورية البيزنطية.

فعلى الرغم من أن علاقة جنوا بالإمبراطورية البيزنطية بدأت منذ عام ١١٥٥م، إلا أنها لم تختمر بشكلٍ فعلي إلا بعد قرنٍ من الزمان، حينما عقدت معاهدة نيمفايوم Nymphaeum ١٢٦١م [٢] مع الإمبراطور

---

[١] افتتحت الحملة الصليبية الرابعة مرحلة جديدة من الاختراق الاقتصادي الغربي للإمبراطورية البيزنطية، فعقبها تحول التواجد الإيطالي التجاري في الأحياء الاقتصادية للمدن البيزنطية المتنوعة من النمط التجاري المتقطع إلى النمط المنتشر والمستديم، وذلك من خلال المستوطنات الدائمة، والمستعمرات في كافة أنحاء الإمبراطورية. راجع:-

Matschke, K. P., "Commerce, Trade, and Money: Thirteenth- Fifteenth Centuries", in: Laiou, A.E. (ed.),*The Economic History of Byzantium*, Washington, D.C, 2002, p. 771.

عن انتشار المستعمرات الإيطالية فى شرق البحر المتوسط والبحر الأسود. راجع:-

Jacoby, D., "Western Commercial and Colonial Expansion in the Eastern Mediterranean and the Black Sea in the Late Middle Ages", in: Gherardo Ortalli and Alessio Sopracasa (ed.),*Rapporti Mediterranei, Pratiche Documentarie, Presenze Veneziane: Le Reti Economiche e Culturali (XIV - XVI Secolo)*, Venezia, 2017, pp.3-50.

[٢] مُنح الجنوية بموجب هذه المعاهدة مزايا تجارية سخية، وعديداً من القواعد التجارية، حيث نقلت- بضربة واحدة- احتكار التجارة الشرقية من أيدى البنادقة إلى أيدي الجنوية، كان تطبيق بنود تلك الإتفاقية يضمن للجنوية في الدردانيلDardanelles والبسفور والبحر الأسود Black sea تفوقاً مماثلاً لما تمتع به البنادقة خلال ستين عامًا تقريبًا فى ظل أباطرة القسطنطنية اللاتين، وكانت تلك البداية الحقيقية لتولي جنوا مركز القيادة فى القسطنطينية، وصنعت أسس صلبة لقوة الجنوية في الشرق. راجع:-

Matschke, Commerce, Trade, pp. 771, 789;

عادل زيتون، العلاقات *الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى "بحث فى النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ق ١٢-١٤"*، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٠، صـ٨٨

البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس Michael VIII Palaeologus (١٢٦١-١٢٨٢م)[١]، حصلت جنوا بموجبها على امتيازاتٍ كثيرة في أملاك الإمبراطورية في بحر إيجة [٢] والبحر الأسود مقابل قيام أسطولها بمساعدة الإمبراطور في استعادة القسطنطينية، وما هي إلا أيام حتى نجح في استعادتها، ونظرًا للمخاطر الكثيرة المحيطة به، سعى للحفاظ على علاقاته السياسية مع القوى المجاورة، وفي مقدمتهم البندقية[٣]، خاصةً بعدما أصبح حلفاؤه الجدد الجنوية مصدر خطر، بدلًا من أن يكونوا مصدر قوة، فعمل على إبعادهم إلى جلطة Galata[٤]، وعبثًا أرسلت جنوا بنديتو الأول زكاريا Benedetto I Zaccaria لمقابلة الإمبراطور؛ لحثه على

أما عن مدينة نيمفايوم فهي: تقع بالقرب من مدينة أزمير Izmir على ساحل بحر إيجة Aegean، وهي عاصمة أخرى لإمبراطورية نيقية Nicae ، وقد تطورت هذه المدينة بسرعة بعد أن اتخذها يوحنا فاتاتزيس John Vatatezs (١٢٢٢-١٢٥٤م) مقرًا مؤقتًا له في بداية حكمه. راجع:- عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية، ص٨٧، حاشية (٢٧).

[١] وُلد ميخائيل الثامن باليولوجوس عام ١٢٢٥م، وكان يجمع بين الأصول – بالانتساب لبيت دوكاس Doukas وبيت كومنينوس Komnenos وبيت انجيلوس Angelos - ، وشجاعة الجندى، وفطنة رجل الدولة ، وقد رقيَّ فى شبابه قائدًا لإحدى الفرق العسكرية، فأحبه جنده حباً خالصاً. راجع:- إسحق عبيد، *الدولة البيزنطية فى عصر ميخائيل باليولوجس (١٢٦١ - ١٢٨٢ م)*،دار الكتب، بيروت، دت،صـ ٢٥؛ دونالد نيكول، *معجم التراجم البيزنطية*، ترجمة وتعليق/ حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، صـ ١٥٨-١٦٠.

عن علاقة جنوا بالإمبراطورية البيزنطية منذ منتصف القرن الثاني عشر حتى منتصف الثالث عشر. راجع:-

Saĝlam,H.S.,"Urban Palimpsest at Galata & an Architectural inventory study for the Genoese Colonial Territories in Asia Minor", PhD Dissertation in Milano University, 2018, pp. 11-12;

حاتم الطحاوى، *بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية(١٠٨١-١٢٠٤)*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ، ١٩٩٨م، صـ ٧٥-٧٦.

[٢] بحر إيجة، هو ذراع من البحر المتوسط، يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٦٤٠ كيلو متراً، وعرضه من الغرب إلى الشرق أكثر من ٣٢٠ كيلو متراً، وتطل عليه بلاد اليونان Greece، وآسيا الصغرى Asia Minor، ويرتبط ببحر مرمرة Marmara، والبحر الأسود من خلال مضيق الدردانيل، كما يمتلئ بالجزر التي تخضع الأغلبية العظمى منها إداريًا في الوقت الحاضر إلى اليونان. راجع: Moore, W.G., *The Penguin Encyclopedia of Places*, New York, 1978, p. 14.

[٣] أصبح البنادقة غير مرغوبٍ فيهم في القسطنطينية، لكنهم تمكنوا من تقوية سيطرتهم الاقتصادية في الجزء الجنوبي من رومانيا، ودعموا نفوذهم في جزيرة كريت Crete. راجع:- Matschke, Commerce, Trade, p. 771.

عن العلاقات بين الطرفين فى تلك الفترة والنتائج المترتبة عليها. راجع:-

Sauli, D.L., Della colonia dei Genovesi in Galata, Tomo, 2, Torno, 1831, pp.7-32; Saĝlam," Urban Palimpsest at Galata", pp.12-13; Penna, D., "The Byzantine Imperial Acts to Venice, Pisa and Genoa, 10-12th Centuries", Eleven International Publishing, Den Haag, 2012, pp.142-197; Nicol, D., M. *Byzantium and Venice: A Study in Diplomatic and Cultural Relations*, Cambridge University Press, Cambridge, 1992, pp. 1-211.

[٤] كفل تنفيذ بنود معاهدة نيمفايوم للجنويين تفوقًا في الأرخبيل والبسفور والبحر الأسود يعادل التفوق الذي تمتعت به البندقية طوال ما يقرب من ستين عامًا في عهد الأباطرة اللاتين، وسرعان ما أحرز الجنويون أكثر مما في نية البيزنطيين من منح، فقد طوروا مرفأ جلطة أو بيرا Pera المواجه للقسطنطينية، فأصبح منافسًا للعاصمة القديمة واتخذوه مستقرًا لهم، واعتبروه أكثر أمنًا في ظل الظروف

إلغاء مرسوم الطرد[١]، وعلى الرغم من فشل بنديتو الأول في مهمته، إلا أنه على ما يبدو أن الإمبراطور أُعجب به وبدبلوماسيته، فضلًا عن إعجابه بعقلية أخيه مانويل زكاريا Manuele Zaccaria التجارية؛ مما دفع أحد المؤرخين إلى القول: "إن مانويل وبنديتو زكاريا أصبحا المستلمين لكل ما يخص سخاء الإمبراطور وكرمه"[٢]، ومما يرجح ذلك حصولهما على حق الانتفاع بمدينة فوكايا Phocaea ١٢٧٥م، واستغلال مناجم الشب Alum mines بها، وبناءً على ما سبق، وقع اختيار الباحث ليكون عنوانًا لبحثه "**احتكار أسرة زكاريا الجنوية لتجارة الشب في فوكايا وتداعياته ١٢٧٥-١٣١٤م**".

وبالتدقيق في عنوان البحث، يتضح أنه ارتبط بثلاثة مصطلحات: تجارة الشب، ومدينة فوكايا، وأسرة آل زكاريا الجنوية وسوف نناقش ذلك لاحقًا، أما التحديد الزمني فهو يقع بين عام ١٢٧٥م، وهو العام الذي منح فيه الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن المدينة للأخوين مانويل وبنديتو الأول زكاريا، أما عام ١٣١٤م فهو العام الذي استقل أندريولو كاتانيو ديلا فولتا Andreolo Cattaneo della Volta بفوكايا كتابع للإمبراطور البيزنطي بشكلٍ مباشر.

الاقتصادية المتقلبة، فجعل لهم موضع قدم في جزيرة خيوس Chios، وممرًا آمنًا للبحر الأسود عبر الثغور البيزنطية ومدينة كافا Kaffa، التي اعتُبرت –حينها– مركزًا جديدًا بازغًا لمنطقة اقتصادية واعدة. راجع:–

هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ٤ أجزاء، ترجمة أحمد رضا محمد، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ج٢، ص ٨٦؛ Matschke, Commerce, Trade, p. 771.

أما عن جلطة، فهى إقليم قديم فى آسيا الصغرى، تقع على الجانب المقابل للقسطنطنية عبر القرن الذهبيGolden Horn، حول مدينة أنقرة Ankara حالياً وعُرفت باسم بيرا أيضاً، أما تسميتها بهذا الاسم جاء لأن الغاليين Gauls غزوها وسيطروا عليها عام ٢٧٨ ق.م.، وأصبحت إقليمًا رومانياً ٢٥ ق.م. راجع:– عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية، ص٩٢، حاشية (١٠)،

Moore, *The Penguin*, p.295.

أما عن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية فيما بين التفوق والانحدار، راجع:

Laiou, A. E., "Exchange and Trade Seventh-Twelfth Centuries" in: Laiou, A.E., (Ed.), *The Economic History of Byzantium: from the Seventh through the Fifteenth Centuries*, Washington, 2002, pp. 697-770.

(1) Miller, W., *Essays on the Latin Orient*, Cambridge, 1921, p. 284.

وفقاً لرؤية المصادر البيزنطية– وأيدتها وجهة نظر بعض المؤرخين– أن الجنوية كانوا قد طردوا إلى هرقلية فى عام ١٢٦٤م، وسمح لهم بالعودة ١٢٦٧م، ولكن هذه المرة إلى جلطة. راجع:–

Pachymeres, G., *Relations Historiques*, 5 Tomes, ed. A. Failler, Traduction Francaise Parv. Laurent, Paris, 1984-2000, Tome II, Li.II., 35, pp.224-226; Eyice, S., "Galata (Galata'daki Türk Eserleri) [Galata (Turkish Monuments in Galata)]",*İslam Ansiklopedisi* (Vol. 13, pp. 307-313), TDV, Istanbul, 1996, pp.11-22; Gregory, T., E. *A History of Byzantium*, John Wiley & Sons, Singapore, 2011, p. 335.

(2) Miller, W., " The Zaccaria of Phocaea and Chios", in:***JHS***, Vol. XXXI, London, 1911, pp. 42-43.

أما عن الدراسات السابقة، فلم تكن هناك دراسة متخصصة في الموضوع بشكل دقيق، إلا أنه وُجدت بعض الدراسات التي اهتمت بتواجد الجنوية في شرق البحر المتوسط[١]، وأخرى اهتمت بتواجدهم في فوكايا وخيوس[٢]، ومؤرخ ثالث اهتم بدراسة دبلوماسية وعسكرية بنديتو الأول زكاريا، فضلًا عن نشاطه التجاري دون التعمق في تجارة الشب[٣]، وعليه جاء موضوع الدراسة مهتمًا بتجارة الشب؛ لما مثلته تلك التجارة من ثراء الأسرة، الأمر الذي ترتب عليه نتائج بالغة ستتضح مع نهاية البحث.

أما عن الشب، فهو مادة بلورية عديمة اللون تستخرج من صخور معينة[٤] على قمم الجبال، وعملية إنتاجه كانت طويلة، تتطلب عدة مراحل من الغليان والنقع والتجفيف، وكان منه نوعان: الشب الصخري Allum Rock [٥]، والشب المحبب Allum Minuto[٦]، وكانت تؤخذ هذه الصخور للحصول على الشب بنحتها – فهي صخور إسفنجية مليئة بالفتحات– لتنتج مادة صمغية تشبه الدقيق في اللون والمادة، في البداية هذه الصخور كانت تُطهى ما يقرب من ثمانية عشر ساعة في موقدٍ خاص، ثم يؤخذ المنقوع ويُسكب في حوض

---

[١] قام المؤرخ الفرنسي ميشيل بلار Michael Balard بنشر كتاب ضم عددًا من المقالات الخاصة به، بلغت إحدى وثلاثين مقالة، تتعلق بجنوا ونشاطاتها التجارية في حوض البحر المتوسط، وجاءت تحت عنوان:

Balard, M., *Genes et Lamer Genova eilmare*, Genova, 2017.

بالإضافة إلى كتابه الذي جاء في جزئين تحت عنوان:

Balard, M., *La Romanie Genoise (XII^e^-Debut du XV^e^ Siécle)*, II Tomes, Genova, 1978.

[2] Miller, The Zaccaria, pp. 42-55.

[3] Lopez, R.S., *Benedetto Zaccaria ammiraglioe mercante nella Genova del Duecento*, 1933, Prezzo di Copertina, 2004.

وهناك دراسة باللغة العربية للباحث محمد إبراهيم خلف تحت عنوان:– "دور عائلة زكريا الجنوية في تجارة المصطكي بجزيرة خيوس ١٣٠٤–١٣٢٩م"، مجلة وقائع تاريخية بمركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٣٤ يناير ٢٠٢١، ج١، صـ ١٢٥–١٦٦. و هى دراسة جادة فى جوانبها أوحت للباحث بفكرة الموضوع.

[4] Faroqhi, S.P., "Alum production and Alum Trade in the Ottoman Empire (about 1560-1830)", in: ***WZKM***, 71, Vienna, 1979, pp. 154-155; Delumeau, J., "L'alun de Rome XV^e^–XIX^e^ Siécle", in: *Ecole Prtique de Hautes Etudes, VIe Section, Centre de Recherches Historiques, Ports-Routes-Trafics XIII*, 1962, p. 14.

[٥] الشب الصخري يظهر على شكل كتل متماسكة كالثلج، صافية ولامعة بلون أبيض أو ضارب إلى الحُمرة أو الخُضرة الباهية.

راجع:– هايد، تاريخ التجارة في الشرق، ج٤، ص٦٧.

[6] Heers, M.L., "Les Gênois et Le Commerce de L'alun a la Fin du Moyen Age", in: ***RHES***, Vol. 32, 1954, p. 38, N. 26; Fleet, K.H., "Trade Relations Between the Turks and the Genoese, 1300-1453", PHD. Submitted to University of London, 1993, p. 204.

أما الشب المحبب فيتكون من الشب الصخري، والباقى من شب الدرجة الثالثة ويسمى Corda أو Fossa، ويكون في قيعان الأحواض المستعملة فى التجهيز، وهو على شكل بلورات صغيرة. راجع:– هايد، تاريخ تجارة الشرق، ج٤، ص٦٧.

مربع، ويُترك حتى يبرد، وفي شهور الصيف يُرش مرة واحدة في اليوم بواسطة أنابيب معلقة على الأحواض، أما شهور الشتاء حيث هطول الأمطار بكثرة، لا يتم رش الصخور ولا المخزون منه، ويتم انتقاء الصخور بعناية قبل عملية استخراجه، فالصلبة منها كانت مفضلة، أما الناعمة الهشة كانت تُهمل، وتُؤخذ هذه الصخور وتوضع في أكياس واحدةً واحدة، ثم توضع في غلاية تسع ثلاثة براميل، سعة البرميل الواحد خمسة وأربعون لترًا، وبعد مرور اثنتى عشرة ساعة يُنخل الماء تدريجيًا ليتبقى المعدن، ثم يُسكب في صندوق لإزالة الشوائب، أما الماء فيؤخذ ليوضع مرة أخرى في صندوق مغلق جيدًا لمدة لا تقل عن اثنى عشر يومًا، ولا تزيد على أربعة عشر يومًا، بعد ذلك يُخلط بإحكام مع الشب المقطوف قبل ذلك، ثم يُصب عليه ثلاثة جرادل من الماء لمدة يوم، ثم يُترك حتى يجف، ومع نهاية اليوم يوزن[١]، بعدها يُصبح جاهزًا للتخزين في صناديق مختلفة، ليُجهز فيها كمادة في بيئة غير رطبة كنهاية جيدة لقطف المحصول[٢]، وعليه يتضح أن عملية استخراج الشب تتطلب عملاً شاقًا ودراية وخبرات ووقتًا طويلًا حتى يخرج المعدن فى صورته النهائية.

وهناك وصف آخر يعطيه لنا المؤرخ البيزنطي ميخائيل دوكاس Michael Doukas [٣] حول استخراج الشب، فوفقًا لوصفه فإنَّ الشب يخرج من الصخور[٤] على حافة الجبال مُذابًا داخل الرمال المشتقة من تلك الصخور، وتُؤخذ هذه الرمال وتُوضع داخل قدور مملوءة بالماء، وتُسخن بالنار حتى يترسب الرمل أسفل القدر، ويتكون الشب ككتلة كثيفة تشبه إلى حد بعيد اللبن المجبن، بينما عناصره الصلبة والغليظة تكون عديمة القيمة وتُلقى خارجًا، أما الكتل الكثيفة فتُصب داخل أحواض لمدة أربعة أيام، بعدها يتعلق بحافة الأحواض بريق مثل البلور[٥]، ويُغطى القاع بجزيئات بلورية[١]، فيُقطف ويُخزن في المخازن[٢]، وعليه تصبح عملية استخراج الشب الشب غنية وخصبة وفقًا لتركيب الصخور المتعلقة به، لذا يمكن إيجازها فيما يلي:

---

[١] كانت الواحدة من أكوام الشب تزن تقريباً ما بين ٣٥ إلى٤٠ قنطارًا Cantaro،- وحدة قياس تساوى مائة رطل Routo وتتنوع ما بين ١٠٠-٧٥٠ Ibs - ووفقًا للنظام الجنوي فإنَّ القنطار يزن ٤٧,٦ كيلو جرامًا، أما القنطار العثماني فيزن حوالي ٥٧ كيلو جرامًا. راجع: حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية، صـ ١٤٧؛

Aygün, C.Ö., "The Flesh eating Stone: alum mining and trade in Asia Minor La pietra che divora la carne: estrazione e commercio di allume in Asia Minore ", in: eds. Dallai, L., Bianchi, G., and Stasolla, F. R., *I Paesaggi dell allume Archeologia della Produzione ed Economia di rete*, Sesto Fiorentino (FI), luglio, 2020, p. 176.

[2] Aygün, The Flesh eating Stone, pp. 176-177.

[3] Michael Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, Trans. By, Harry, J. Magoulias, Detroit, 1976, p. 148.

[٤] هذا النوع من الصخور يسمى آنديسايت Andesite، تستطيع أن تنتج Alunite تحت التغيرات الحرارية المائية، ويزداد هذا النوع النوع من الصخور في إقليم أسوس Assos. راجع: Aygün, The Flesh eating Stone, p. 179

[٥] هذا الشب يُسمى الشب الصخري، وهو الأفضل ومعظمه غالي الثمن إلى حدٍ بعيد. راجع:

عملية السحق أو الطحن تُستعمل في استخراج الشب الخام من الصخور؛ لذا معظمه يكون من الشب الصخري، أما عملية التسخين فتتم في موقد خاص مُعد من الطوب اللبن، حتى ظهور الأبيض الناصع منه، وهذه العملية تُسمى الإحراق، وهي تقريبًا تأخذ سبع أو ثمانى ساعات، ومدة التسخين ترتبط بالتركيب الكيميائي المتعلق بالشب، وبعد عملية الإحراق يُؤخذ خارجًا ويُوضع على الأرصفة المعدة لذلك، حيث تكون محاطة بالخنادق لمدة أربعين يومًا، وتُرش بالماء بانتظام، وبعد عملية الرش يصبح الشب الخام الفاسد أنعم، فيُؤخذ إلى الغلاية مرة أخرى ويُغلى تحت درجة حرارة عالية لساعاتٍ طويلة، ثم يُصب في مقالٍ حتى يبرد ثم تُستخلص منه بلورات الشب الناتجة عن عملية الذوبان الأخيرة[٣]، وعليه يمكن القول أن عملية التسخين ورش الماء يمثلان عوامل رئيسية لاستخراج خام الشب في صورته النهائية، المُعدة للتخزين ثم التسويق.

أما عن استخدامات الشب، فيُستخدم في مجالات متنوعة؛ حيث يدخل في صناعة الأدوية ومستحضرات التجميل والدباغة أثناء عملية ذوبان الجلود، ويقوم بتثبيت الدهانات، ويخلطه الكيميائيون مع المصطكى Mastic، لإنتاج مادة لحشو تجاويف الأسنان، ويدخل في صناعة النسيج كمادة لتنظيف الألياف وتثبيت الأصباغ والطباعة على القماش؛ لأن رواسبه الهُلامية تساعد على التصاق الصبغة في ألياف الأقمشة، والشب الحجري منه كان مفضلًا كمادة لإعداد أحجار الرُحى[٤]، ويُستخدم أيضًا في الصناعات الجلدية، ومن المؤكد دخوله في صناعة نوع من الزجاج والسكر[٥].

Heers, Les Gênois, p. 38; Fleet, Trade Relations, p. 204.

(١) هذه الجزئيات البلورية كانت تُسمى Allume Corde أو Allume Difosso، وكانت جودته قليلة ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الجودة، ويتكون من $\frac{٢}{٥}$ من الشب الصخري، بالإضافة إلى $\frac{٣}{٥}$ من الشب المحبب. راجع:

Liagre, L., "Le Commerce de L'alun en Flandre au Moyen age", in: *Le Moyen Age,*Vol. LXI, 1955, p. cxxxix, n. (3).

(2) Doukas, *Decline and Fall of Byzantium*, p. 148.

يوجد هناك أوصاف متنوعة للشب وطرق استخراجه. للمزيد راجع:

Briys, E. and Beerst, D.J., "The Zaccaria Deal Contract and options to found a Genoese Shipment of alum to Bruges in 1298", *presented at XIV international Economic History Congress*, Helsinki, Aug. 2006, p. 50.

(3) Brewster, D., *The Edinburgh Encyclopedia*, Edinburgh, 1830, p. 590; Agricola Georgius, *De re Metallica 1556*, eds., Hoover, H.C., and Hoover, L.H., New York, 1950, pp. 568-569.

(4) Larranaga, M.D., Lewis, R.J., Sr. Lewis, R.A., *Hawley's Condensed Chemical Dictionary*, New Jersey, 2016, p. 59; Faroqhi, Alum Production, pp. 154-155; Singer, Ch.s., The Earliest Chemical Industry, pp. 92-94.

(5) Liagre, Commerce, pp. 177-179; Delumeau, L'alun, p. 14.

أما عن فوكايا، فكانت مركزًا مهمًا من مراكز إنتاج الشب، فهي تقع على ساحل آسيا الصغرى على بُعد خمسين إلى ستين كيلومترًا شمال غرب خليج سميرنا Smyrna[١]، ومناجم الشب تقع في غربها، وهذا الشب يُستخدم بشكل أساسي في الصناعات المتعلقة بالدهانات والصباغة[٢]، ووفقًا لرؤية المصادر فشب فوكايا كان من بين الأفضل، ومناجمه الأكثر إنتاجية في ذلك الوقت[٣]، حيث كانت تنتج ما يقرب من سبعة وثلاثين طنًا ثم ارتفع إلى سبعمائة وتسعين طن سنويًا فى القرن الرابع عشر الميلادى[٤] ويتكون من ٢/٥ من الشب الصخري، و٣/٥ من الشب المحبب، لذا تشابه مع شب المرتبة الثانية من حيث الجودة، الأمر الذي جعله سلعة للتجارة المحلية نظرًا لسعره المناسب[٥]، ولعل هذه الانتاجية العالية كانت عاملاً مهمًا فى الاهتمام به والعمل على تطويره، مما ساعد على تصديره إلى مناطق مختلفة.

ارتبط هذا الانتشار لشب فوكايا، بظهور أسرة زكاريا على مسرح الأحداث واحتكاكهم بالإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجس، فعلى الرغم من احتكار الجنويين لتجارة الشب في آسيا الصغرى في كولونيا Koloneia[٦]، وكوتاهية Kütahia[٧]، وتسميها المصادر كوتاي Cotai، وقيامهم بتصديره من هناك قبل عام

---

[١] سيميرنا: مدينة تركية، وهي إزمير حاليًا، وهي ثالث كبرى المدن التركية، وتقع على خليج أزمير – أحد خلجان بحر إيجة، وكانت عاصمةً لإقليم إزمير، بناها اليونانيون، ثم استولى عليها الرومان، وخضعت للسيادة المسيحية، ثم استولى عليها الأتراك عام ١٤٢٤م، وفقدوها عام ١٩١٩م، ثم عادت للسيادة التركية عام ١٩٢٣م، وهي الآن ميناء تجاري مهم. راجع:-

Moore, *The Pengune*, p. 779.

[2] Ersan, M., "Yüzyıllarda Şap Ticareti ve Şebinkarahisar [Alum Trade in the 13-14th Centuries and Şebinkarahisar", *ebinkarahisar 1. Tarih ve Kültür Sempozyumu, 30 Haziran* - XIII-XIV, Istanbul 2000 , pp. 55-62; Aygün, The Flesh eating Stone, p. 179.

[3] Pegolotti, F.B., *La Pratica Della Mercatura, ed. Allan Evans*, Cambridge, MA: Medieval Academy of America, 1936; reprinted New York: Kraus, 1970, pp. 367-70.

[4] Ersan, Yüzyıllarda Şap Ticareti, pp. 55-62; Saĝlam,H.S.,*Urban Palimpsest at Galata*, p.223.

[5] Pegolotti, *La Pratica*, p. 369; Aygün, The Flesh eating Stone, p. 179.

[٦] كان إقليم كولونيا أو قرة حصار Karahissar– تقع على نهر ليكوس Lycus، وبقي اسم كولونيا حتى القرن الرابع عشر الميلادى – من أهم مصادر إنتاج الشب هناك، وشبه من النوع الأفضل، ويخرج منه ثلاثة أنواع، الشب الصخري، والشب المحبب، والشب الـ Corda، وينتج سنويًا ١٤٠٠٠ قنطارًا جنويًا، ويُصدر من خلال ميناء كيراسوس Kerasous، ويستغرق سبعة أيام من هناك حتى يُباع في القسطنطينية وبيرا. راجع:- Pegolotti, *La Pratica*, p. 369; Fleet, Trade Relations, pp. 212-214;

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٤، صـ٦٤.

[٧] كان شب كوتاهية – عاصمة إمارة كرميان Kermian التركمانية– قريبًا من شب فوكايا في الجودة، ومعظمه محبب، وتنتج ١٢٠٠٠ قنطارًا جنويًا سنويًا، ويُباع في أسواق القسطنطينية وجلطة، واحتكر تسويقه حكام الطولوجو Altoluogo. راجع:

Pegolotti, *La Pratica*, pp. 43, 369; Fleet, Trade, Relations, p. 214.

عام ١٢٧٥م[١]، ومما يؤكد هذا الاحتكار ما ذكره وليم روبروك William of Rubruck حينما زار قونية Kony[٢] ١٢٥٥م، بأنه قابل تاجرًا جنويًا هناك اسمه نيكوليا دى سانوسيرو Nicolao de Santo-Siro شارك تاجرًا جنويًا آخر اسمه بنيفاتيو دى موليندينو Benefatio de Molendino، واحتكرا سويًا كل الشب المستخرج من مناجم السلطان السلجوقي الذي كان يبيعه لهما بأكثر من سعره[٣]، وهذا كان يشبه إلى حدٍ بعيد شب كوتاهية[٤]، الأمر الذي يؤكد على الأهمية الكبيرة، التي يحتلها الشب في التجارة الدولية بين الشرق والغرب، قبل ظهور أسرة زكاريا على مسرح الأحداث، ويرجح درايتهم بمكانة وأهمية هذا المعدن.

وشب آسيا الصغرى كان معظمه يصدر من خلال موانئ بحر إيجة والبحر الأسود والبحر المتوسط، وهو معروف هناك إلى حدٍ بعيد، غير أن انهيار الاقتصاد البيزنطي بعد عام ١٢٠٤م، وانتقال التحكم إلى البنادقة، الذين فرضوا سيادتهم على غرب بحر إيجة، في الوقت الذي احتل فيه المنافسون – الجنويون– شرقه [٥]، الأمر الذي خلق سياسة تنافسية تقلصت في المناطق الداخلية، وشكلوا سويًا تشكيلًا احتكاريًا في عام ١٢٥٥م ،كان الهدف منه التحكم في إنتاج الشب في آسيا السلجوقية[٦]، وساعدهم على ذلك الحالة التي تعيشها إمبراطوريات المنفى البيزنطية من صراع داخلى وخارجي، فضلاً عن غلبة المصالح التجارية لتلك المدن على المصالح السياسية، وهو الأمر المعروف منذ انطلاق الحركة الصليبية.

غير أن الأمور بدأت تتغير رويدًا رويدًا خاصة بعد استعادة ميخائيل الثامن القسطنطينية، الأمر الذي بدأ معه الأخير محاولاتٍ شتى للحفاظ على هذا الكسب الكبير، فبدأت علاقاته بأسرة آل زكاريا في بدايات

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٤، صـ٦٤-٦٥.

(1) Zachariadou, E. A., *Trade and Crusade, Venetian Crete and the Emirates of Mentesha and Aydin*, Venice, 1983, pp. 167-168.

(٢) قونية، هى مدينة تركية، عاصمة اقليم قونية، مثلما كانت عاصمة لاكونيا Lycaonia ، دخلت فى حوزة الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر الميلادى، فاختاروها عاصمةً لهم، فازدادات شهرتها منذ ذلك الحين. راجع:-

Moore, *The Penguin*, pp.427- 428 .

(3) William of Rubruck, *The Mission of Friar William of Rubruck, his Journey to the Court of the Great Khan Monko, 1253-1255*, trans. by, Peter Jackson, London, 1990, p. 273; Balard, *La Romanie*, Tome II, p. 770.

ولد وليم روبروك فى مقاطعة فلاندرز، رافق لويس التاسع ملك فرنسا فى الحملة الصليبية السابعة، وبأوامر منه شرع في رحلة تبشيرية لتحويل المغول إلى المسيحية فيما بين عامي ١٢٥٣-١٢٥٥م، وفى طريقه عرج على القسطنطينية، ومنها إلى آسيا الصغري، ثم أكمل مسيرته إلى أراضى المغول. راجع:- William of Rubruck, *The Mission*, pp.ii-vi.

(4) Balard, *La Romanie*, Tome II, pp. 773-774.

(5) Inalcik, H. and Quataert, D., (eds.), *An Economic and Social History of the Ottoman Empire*, Vol. 1, 1300-1600, Cambridge, 1999, p. 272.

(6) Miller, E., et al., *The Cambridge Economic History of Europe: Trade and Industry in the Middle Ages*, 1987, p. 375; Aygün, The Flesh eating stone, p. 176.

١٢٦٤م[١]، تلك الأسرة التي بدأت تظهر على مسرح الأحداث –البلاط البيزنطي– بفضل الأخوين مانويل وبنديتو الأول، فالأول تاجر مشهور، والثاني نبيل مشهور[٢]، له شهرة عسكرية[٣]، مفاوض وسياسي ودبلوماسي[٤]، أدميرال[٥] مغامر بحري وملاح ماهر[١]، حصل على لقب دوق بيزنطة الهائل Megaduke من

---

[١] مثلت أسرة زكاريا نموذجًا صارخًا، ارتبط بقيادة أعضاء من الأسر الأرستقراطية مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وسبقت بذلك أسر أخرى، منها: Spinolol ودوريا Doria وجريميلدا Grimaldi وليركير Lercari ونيجري Negri والجريلو Grillo. راجع:- Sauli, Della colonia , Tomo 2, p.22; Briys and Beerst, the Zaccaria Deal, pp. 39, 42.

[٢] بنديتو زكاريا: يُرجح أنه وُلد حوالي ١٢٤٠م في جنوا، فهو ابن لفولكون زكاريا Fulcone Zaccaria (١٢٢٩-١٢٨٠م) أحد الشخصيات البارزة آنذاك، لعب دورًا بارزًا في الحياة السياسية في جنوا، وكان من بين الموقعين على معاهدة نيمفايوم ١٢٦١م، وأمه هي جوليتا Guliette، أما بنديتو فأول وظيفة رسمية تخصه في السجلات كانت مشاركته في العمليات التجارية الخاصة بالكومون الجنوي – مؤسسة دائمة تختص بالاستراتيجية التجارية– في ١٧ نوفمبر ١٢٥٦م. راجع:-

Briys, and Beerst, the Zaccaria Deal, p. 42.

[٣] جاء ذكره في معركة صور، عندما هُزم الأسطول الجنوي أمام البندقي، أما شهرته العسكرية فجاءت من تدخله الحاسم في معركة بحرية ضد البيزيين، أما جزيرة ميلوريا Meloria ١٢٨٤م وانتصاره فيها، فقد أسهم بوضع استراتيجية عسكرية بحرية كان لها نجاحات كبيرة للجنوية ضد البنادقة في كورزول Curzola ١٢٩٨م، وكان له عددٌ من النجاحات في الحصار البحري في أماكن متفرقة مثل: بيزا وتونس ومدن أخرى بالأراضي المنخفضة ومملكة إنجلترا وبروج Bruges. راجع:-

Briys and Beerst, the Zaccaria, p. 42.

عن دوره فى أحداث الثورة الصقلية ١٢٨٢م. راجع:-

Belgrano, Luigi and Cesare Imperiale di Sant 'Angelo, eds. *Annales Ianuenses*. 5 vols.*Fonti per la storia d'Italia: secoli XII e XIII* (no. 11-14bis). Rome: Istituto Storico Italiano, 1890-1929, Vol.5, p.344; Pattison,J.S., Trade and Religious Boundaries in the Medieval Maghrib: Genoese Merchants, their Products, and Islamic Law, PhD. Dissertation in University of California, 2019, p.142.

[٤] كان لبنديتو زكاريا نجاحات كبيرة كمفاوض تجاري وسياسي ودبلوماسي مع هنري الثاني Henry II ملك قبرص Cyprus (١٢٨٦-١٣٢٤م)، وليو الثاني Leo II ملك أرمينيا (١٢٧٠-١٢٨٩م)، وهيثوم الثاني Hethum II ملك أرمينيا (١٢٨٩-١٣٠٥م)، وفيما يبدو مع البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII (١٢٩٤-١٣٠٣م) الذي اعتبره أقرب صديق "old, Familiar Friend"، وقيل إنه كان مستشارًا للخان المغولي في بلاد فارس (١٢٨٩-١٣٠٣م)، ولعب دورًا مهمًا في التوسط بين مملكتي فرنسا وإنجلترا، وقيل إنه وصل إلى بلاط السلطان المملوكي، وعُرف باسم تاجر الفرنجة سكران Sakran. راجع:

Boniface VIII, Les Registres de Boniface VIII, ed. Georges, A.L.O. and others, Paris, 1906-1921, Tome III, pp. 290-294; Kedar, B. Merchants in Crisis, Genoese and Venetian Men of Affairs and Fourteenth Century depression, Yale University Press, 1976, p. 21.

[٥] حمل بنديتو لقب أدميرال جنوا، ليس هذا فقط، فقد منحه سانشو الرابع Sanchez IV ملك قشتالة Castile(١٢٨٤-١٢٩٥م) لقب أدميرال أف قشتالة بعد انتصاره على Moors ١٢٩١م، واستيلائه على ترافا Tarifa ١٢٩٢م، وفوق هذا حصل بنديتو على ميناء سانت ماريا Santa Maria القريب من قادش Cadiz، ولكن تدريجيًا حدث فتور في العلاقة بينهما، فانتقل إلى فيليب الرابع الجميل Philip IV ملك فرنسا (١٢٨٥-١٣١٤م)، وهناك قام ببناء أسطول –بمساعدة الجنوية– في مدينة ريو Rio ١٢٩٥م، لتصبح أول دار صناعة للسلطة الفرنسية في التاريخ، فضلًا عن أنه قام بتقديم مخطط للملك الفرنسي للإيقاع بمملكة إنجلترا. راجع:

من الإمبراطور البيزنطي، وقيل عنه إنه كان تاجرًا مسافرًا ونبيلًا عظيمًا وأميرًا للبحر، وكان مميزًا بشعوره الديني وحرصه الشديد على الربح، فعلى الرغم من كل ذلك، فالتركيز هنا على كون بنديتو نموذجًا انتقاليًا –في وقته–، فقد كان يتاجر في التوابل والسكاكين والقماش والكتان والفراء والملح والحبوب وغيرها من السلع والأدوات، والمضاربة في النقد الأجنبي في أسهم القروض العامة والعقارات[٢].

هذه لم تكن مميزات بنديتو الأول زكاريا فقط، فقد تعددت ليتضح منها ما يلي: أولًا: أن بنديتو كان ملاحًا مميزًا إلى أبعد الحدود، أعطت دبلوماسيته ومغامرته التجارية له غطاءً للذهاب إلى نهاية البحر الأسود شرقًا، وإلى مملكة إنجلترا غربًا. ثانيًا: لم يكن رجل أعمال أو دبلوماسي أو سياسي أو عسكري، أو يقوم ببعض الأعمال التجارية، أو مستثمر في السياسات المالية المتنوعة، بل كان كل ذلك بشكلٍ كامل[٣]. ثالثًا: لم يكن بنديتو عسكريًا لفترة قصيرة من حياته، فقد بقي مستعدًا طوال حياته لحملات عسكرية بحرية في سبيل الكومون أو حكام آخرين. رابعًا: مثلت تجارة الشب مصدرًا رئيسيًا لثروته، وجاء الباقي من استخدامه لمراكبه في التجارة بين الشرق والغرب ذهابًا وإيابًا في أنواع مختلفة من السلع. خامسًا: استثمرت أسرة زكاريا لبعض الأرباح كأصول داخل أنواع عديدة من السلع أو العقارات المتعلقة بالتجارة أو مغامرات تجارية أخرى[٤].

وعليه يتضح أن بنديتو الأول زكاريا وأخيه مانويل لم يكونا بالأشخاص كثيري الجلوس، فهما يديران شبكة تجارية تتعلق بالمستخدمين والشركاء والوكلاء، وتجهيز المواقع التجارية والاستراتيجية، فكان بنديتو يطوف

Rodriguez,J.I, Micer Benedetto Zaccaria, Primer Señor de elpuerto y su tiempo,in: Revista de historia de El Puerto, 4,1990, pp. 39-53.; Lopez, Benedetto, pp. 217-221; Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 43.

(١) اعتقد بعض المؤرخين أن بنديتو زكاريا يمثل الجذور فيما يتعلق بالمدرسة الجنوية الخاصة بالخرائط الملاحية؛ لأن الخريطة المكتشفة في أواخر القرن التاسع عشر، والمسماة بالخريطة البيزية؛ لاكتشافها هناك، إلا أنها على الأرجح قد رُسمت من قِبل جنوا قبل عام ١٢٩١م؛ لاحتوائها على أماكن محددة –للبقايا الصليبية في الشام– وُصفت بواسطة بنديتو زكاريا. للمزيد راجع:

Lopez, Benedetto, pp. 235-236; Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 42-43; Ronciere, C. de La, La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. Cartographiez et Exporateurs, société Royale de Géographie d'Egypte, 3 Vols., Paris, 1924, pp. 77-78.

(2) Lopez, R. S., "The Trade of Medieval Europe: The South", in: Cambridge Economic History of Europe, ed. M.M. Poston and Edward, M., Vol II, London and New York, 1987, pp. 377-378.

(٣) وُصف بنديتو بأنه نموذج مثير للاهتمام فيما بين التجار المتجولين في أيامه، فعلى سبيل المثال لعب دوراً بارزاً من أجل الكومون الجنيوى عام ١٣٠٥م، حينما قام بالتفاوض مع سانشو دي مايورقا Sancho de Majorca للوصول إلى رفع القيود عن جنوا، وتوصل إلى دفع ألفي ليرة تعويضًا له عن الأضرار التي تسببت من الجنوية على الجزيرة. راجع:–

Bent, Th., "The Lord of Chios", in: ***EHR***, ed. Mandell Crelghton, Vol. IV, London, 1889, p. 44-45; Jehel, G., *Les Génois en Méditerranée Occidentale (fin XIème - début XIVème siècle). Ebauche d'une stratégie pour un empire*,Centre d'histoire sociale, Presses de l'Université de Picardie, 1993, pp.

(4) Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 44-45.

في كل الأماكن ويظهر عليه أنه "الرجل الذي يبدو مبتهجًا باستمرار في تحركاته السريعة من مكان إلى آخر"[١]، فقد وصلت آفاقه التجارية إلى مملكة إنجلترا والأراضي المنخفضة في الغرب، للقيمة العالية لتجارته التي تركزت التجارة فيها من وإلى الإمبراطورية البيزنطية[٢]، ووصلت مغامراته إلى أبعد مكان في الشرق حتى المستعمرات الجنوية في بحر أزوف Azof[٣]، حيث كان هناك مكان يسمى زكاريا[٤]، وشارك في تجارة كافا[٥]، وذهبت مراكبه إلى كل الموانئ الرئيسية في الغرب والكومونات الإيطالية شمالًا، والإسكندرية وتونس جنوبًا، وأفرغت حمولاتها في مقاطعتي سوثامبتون Southampton وبروج Bruges –بوجه خاص–، وتوجد هناك إشارات لشحنات من الشب جاءت من خلال آل زكاريا ١٢٧٨م[٦]، كل هذه العوامل ساعدته وأخاه مانويل، الأكثر اهتمامًا بالتجارة[٧] على التقرب من الإمبراطور البيزنطي منذ عام ١٢٦٤م.

---

(1) Kedar, Merchants, p. 122.

(2) Balard, *La Romanie*, Tome II, pp. 524-525.

(٣) بحر أزوف، وهو قديمًا Palus Maeotis، ذراع ضئيل من البحر الأسود، مساحته ٣٧٦٠٠ كيلو متر مربع، ملوحته منخفضة، يصب بداخله عديد من الأنهار، وفي النهاية يصب في خليج تاجانروج Taganrog. راجع:– Moore, *The Penguin*, p. 69.

(4) Bratiaun, G. I., *Recherches sur le commerce génois dans La Mer Noire au XIIIe Siécle*, Paris, 1929, p. 153; Lopez, Benedetto, p. 87.

(٥) كافا، إحدى مدن حوض البحر الأسود، تقع الآن في أوكرانيا، وسُميت بهذا الاسم بعد إنشاء مؤسسة تجارية بها في القرن الثالث عشر الميلادي. راجع:– عفاف سيد صبره، *العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر وبلاد الشام في الفترة من ١١٠٠–١٤٠٠م*، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣، صـ٢٠٠، حاشية (٧٥)؛ Moore, *The Penguin*, p.161

(6) Doehaerd, R., "Les gelerés Génoises dans La Manche et La Mer du Nord é la Fin du XIIIe et au début du XIVe Siécle", in: *Bulletin de Institut Historique Belga de Rome*, Tome XIX, pp. 75-6; Lopez, R.S., "Majorcans and Genoese on the North Sea Route in XII Century", in: *Revue Belge de Philosophie et d'Histoire*, Tome XXIX, p. 1164.

وللمزيد عن وضعية الجنوية في حوض البحر الأسود، راجع:

George Ioan Bratianu, *Actes des notaires génoy de pêra et de Caffa de La Fin du Treizieme Siécle, 1281-1290*, Bucarest, 1927, docs, 181-455; Saĝlam, Urban Palimpsest, pp.238-310.

(٧) كان مانويل يتقن أيضًا البراعة العسكرية، فهناك دلائل على هجماته على مصر المملوكية، حينما عكف الكرادلة بعد وفاة البابا نيقولا الرابع Nicolas IV (١٢٨٧–١٢٩٢م) على تحقيق رغبته، وكلفوا مانويل زكاريا بتشكيل أسطول يتولى قيادته باثنتي عشرة سفينة، ويزوده مواطنه تيديزو دوريا Tedisio Doria بثماني سفن، فى البداية عارض البودستات الجنوى هذين النبيلين وهددهما بالغرامة، إلا أنهما قبلا أن يؤديا خدمة في الخارج دون تصريح منه، ونجح الكرادلة فى الحصول لهما على عفو، ونال الاثنان إذناً بالالتحاق بخدمة الكنيسة لسنة واحدة، وارتحلاً على رأس عشرين سفينة انضم إليهم فى قبرص خمس عشرة سفينة أخرى، وبهذا الأسطول مضيا يستعرضان أمام كانديلور Candelore والإسكندرية دون أن يحصلاً على نتيجة فعالة. راجع:–

Lopez, R.S., Studi Sull, Economia Genouese nel Medio Evo, I, Genouesi in Africa Occidentale Le Origini dell árte della lana, Turin, 1936, annex; Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 43;

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ٢٥٨.

قويت الرابطة بين الطرفين، مما دفع البعض إلى القول بأن بنديتو تزوج من أخت الإمبراطور ميخائيل الثامن وأطلق على ابنه اسم باليولوجس Palaeologus (١٢٨٠-١٣١٤م)، لكن رؤية أحد المؤرخين لهذه الفرضية كانت بعيدة الاحتمال؛ لأنه لم يكن هناك صلات مصاهرة بين الأسرتين إلا بعد هذا التاريخ بنحو قرن من الزمان، حينما قيل أن كاترينا أف زكاريا Cattarina of Zaccaria تزوجت من أحد أفراد عائلة آخر الأباطرة البيزنطيين[١]، وعليه فعلى ما يبدو أن التسمية جاءت إعجابًا بشخص الإمبراطور، وكما أوضحنا سلفًا، كيف أُعجب الإمبراطور بينديتو فمنحه الألقاب واتخذه مبعوثًا دبلومآسيا، ووفقًا لمعرفتنا بينديتو كان يبلغ من العمر حينذاك أربعة وعشرين عامًا[٢].

مع بدايات ١٢٧٥م -كما أوضحنا سلفًا- صار الجنوية مفضلين لدى التاج البيزنطي، وبدأ الأخوان يطلبان بمنحهما حق انتفاع مناجم الشب الواقعة إلى الغرب من فوكايا، فمنحهما المدينة كاملة[٣]، فكانت بمثابة منجم ذهب لسعيد الحظ الذي يمتلكه[٤] كسيادة وراثية مقابل مبلغ من المال سنويًا، ومُنحا أيضًا ميناء سيمرنا مشاركة بين الأخوين[٥]، وكان مانويل منتظمًا في دفع الإيجار السنوي من الأرباح الخاصة بمناجم الشب[١]،

---

(1) Lopez, Benedetto, p. 87; Balard, M., *Genes et L'Outre-Mer, Les Actes Caffa du notaire Lamberto di Sambuceto 1289-1290*, II Tomes, Paris, 1973, Tome I, p. 56.

[٢] ترتب على هذا الإعجاب من قبل الإمبراطور لبنديتو الأول أن أصبح لاعبًا رئيسيًا في هزيمة الطموحات الخاصة بالتحالف فيما بين شارل دى أنجو Charles de Anjou (١٢٢٦-١٢٨٥م) والبنادقة لإعادة فيليب دى كورتناى Philippe de Courtenay- ابن بلدوين آخر أباطرة اللاتين فى القسطنطنية- إليها، وأخبر الإمبراطور البيزنطي عن الجنويين الذين يتقربون من شارل دى أنجو للتحالف معه ضد الإمبراطورية، وأخيرًا جعله الإمبراطور رسوله لإشعال الخلاف بين مملكة أراجون ضد صقلية، ويوجد هناك أدلة على أنه -بنديتو- لعب دورًا رئيسيًا فيما بعد في الوساطة لتجهيز الذهب من بيزنطة إلى القطلان Catalan. راجع:-

Lopez, R. S., *Storia delle Colonie Genouesi nel Mediterraneo*, Prezzo di copertina, Pologna, 1938, pp. 92-93, Balard, *La Romanie*, Tome I, pp. 53-54; Nicol, *Byzantium and Venice*, p.208.

(3) Becker, B.N., *Life and Local Administration on Fifteenth Century Genoese Chios*, ph.D Dissertation, Western Michigan University, 2010, pp. 14, 184.

يذكر برين بيكر أن موافقة الإمبراطور على المنح كانت في عام ١٢٦٧م معتمدًا في ذلك على ما ذكره روبرت لويز، أما ميشل بلارد فيقول بأن تاريخ ١٢٦٧م يقينًا، أما هيرز Heers فأعطى تاريخ ١٢٧٥م، أما لايجري Liagre فأعطى تاريخ ١٢٦٤م. عن هذه الآراء راجع: Lopez, R. S., *Genova Marinara nel duecento. Benedetto Zaccaria, ammiraglioe mercante*, Messina: G. principato, 1933, p. 167; Balard, M., "The Genoese in the Aegean (1204-1566)", in: ***MHR***, Vol. 4, 1989, p. 161; Heers, Commerce, p. 31; Liagre, Commerce, p. 179.

غير أن هناك من يشك في أن يكون بنديتو الأول شريكاً فى ملكية فوكايا في حياة أخية مانويل، ولكنه كان وريثه المنتظر. راجع:-

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ ٩٥ حاشية (٤٣).

[٤] هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ٩٦.

[٥] في الأيام الأولى للإمبراطور ميخائيل الثامن في القسطنطينية اقترب منه بعض الإيطاليين، وطلبوا منه أن يعطيهم مناجم الشب بجبال فوكايا شريطة أن يدفعوا مقابل مادي سنويًا. راجع: Doukas, Decline, pp. 148, 291 not. (153).

وعليه ناقش أحد المؤرخين هذه القضية وتوصل إلى نتيجة مفادها أن أسرة زكاريا هي التي اكتشفت الشب في فوكايا، معتمدًا في ذلك على عدم ورود ذكر سابق يخص تصدير الشب من فوكايا قبل هذا التاريخ[٢]، الأمر الذي يؤكد على أن مانويل اشتغل بتجارة الشب قبل تلك الفترة، ويعلم جيدًا أماكن الإنتاج أغناها وأفقرها من هذا المعدن، ويعلم احتواء جبال فوكايا على مناجم كثيرة، لذا عمل جاهدًا وأخوه على الحصول عليها واستغلالها، مستغلين فى ذلك علاقاتهما الجيدة بالإمبراطور، الذي لم يمانع في إعطائهما حق احتكار تجارة الشب في فوكايا والبحر الأسود، وهو الأمر الذي يدلل عليه البند خامساً فى معاهدة نيمفيوم سالفة الذكر.

والأمر الذي يرجح ذلك هو احتكار جنوا لتجارة الشب في آسيا الصغرى قبل هذا التاريخ لفترة طويلة، مما يجعل تجارها على دراية تامة بأهمية الشب ومدى الأرباح التي يحققها، وكونه أسآسيا في كثير من الصناعات، وأن السفن الغربية كانت حريصة على أخذ شحنات من هذا المنتج النافع من فوكايا أثناء عودتها إلى هناك[٣]، والمنافسة الكبيرة بين التجار كانت متعلقة إلى حدٍ بعيد بالشب الذي يأتي من ساحل البحر الأسود، ويصدر إلى أوروبا في السفن الجنوية، لذا فإن احتراف مانويل زكاريا للتجارة وحبه لها الذي فاق حبه لوطنه، مستغلاً ماله من حظوة لدى الإمبراطور في صالحه الشخصي، فحصل منه على أمر يضمن له الاحتكار المطلق الخاص بتسويق الشب القادم من البحر الأسود، بمنع ما عداه من الجنويين من استيراد الشب من هناك، فضلًا عن امتلاكه لمناجم فوكايا[٤]، لأن أسرة زكاريا رأت في نشاط الجنوية في تجارة الشب تعارض مع مصالحها الخاصة، فتخوفوا من ذلك وسعيا لحماية تلك المصالح بحق الاحتكار للشب المملوك لهم، مع السعي لمنع القادم من البحر الأسود إلى الغرب الأوروبي[٥]، ووفقًا لرواية أحد المصادر أن آل زكاريا عملوا بنجاح من أجل موافقة الإمبراطور على احتكارهم كل ما يتعلق بالشب المشحون من البحر الأسود، وفي الواقع أن هذا الشب

---

(1) Miller, The Zaccaria, p. 44; Nicol, D., M., *The Last Centuries of Byzantium, 1261-1453*, Cambridge University Press, Cambridge,1993, p. 172.

(2) Cahen, C., *The Formation of Turkey: The Seljukid Sutanate of Rum: Eleventh to Fourteenth Century*, London, 2014, p. 239.

(3) Miller, The Zaccaria, p. 44; Zachariadou, Trade and Crusade, p. 168, note. (709).

ويعلق بلارد أن هذا كان قبل مارس ١٢٧٤م. راجع:- Balard, *La Romanie*, Tome II, p. 773.

(4) Zachariadou, Trade and Crusade, p. 167; Balard, *La Romanie*, Tome II, pp. 776-777, Miller, The Zaccaria, p. 44.

كان هناك سلعة أخرى مهمة فى هذه المنطقة ألا وهى القمح، الذي كان يُصدر إلى جنوا فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، وكان سعره مرتفعًا. راجع:- Çavuşdere, S.," Ege'de Türk-İtalyan Hububat Ticareti (13.-14. Yüzyıllar" [Turkish Italian Wheat Trade in the Aegean Sea (13-14th c.)], *Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih Coğrafya akültesi Tarih Bölümü Tarih Araştırmaları Dergisi* ,Vol. 28, Issue: 46, Ankara, 2009, pp. 275- 303.

(5) Fleet, *Trade Relations*, p. 213.

كان يُشحن من خلال موانئ طرابيزون Trebizond[١] أو أحيانًا كيراسوس[٢] بعد نقله برًا حوالي سبعة أيام، ومن هناك يُشحن عبر البحر ومنه عبر مضيق البسفور ومن ثم إلى قمم إبيروس Epiros[٣] ثم يؤذن له بالدخول إلى بحر إيجة ثم البحر المتوسط، ومنه يُصدر إلى غرب أوروبا[٤].

خلق هذا الأمر صعوباتٍ جمة للجنوية باعتبارهم القوة المهيمنة على تجارة البحر الأسود، فأرسلوا إلى الإمبراطور يستنكرون هذا الأمر[٥]، وقرروا المقاطعة التجارية مع الإمبراطورية، مما اضطر معه الإمبراطور إلى إلغاء حقوق الاحتكار المطلق حوالي عام ١٢٨١م[٦]، ويصعب التسليم بأن الإمبراطور ألغى بنفسه حق الاحتكار

---

[١] طرابيزون، هى إقليم طرابيزون وعاصمته تحمل الاسم نفسه ، تقع على شاطئ البحر الأسود على بعد ١٦٩ كيلو مترًا شمال غرب أرزوروم Erzurum، كانت مستعمرة يونانية فى القرن الثامن الميلادى، ثم ازدادت شهرتها حينما أصبحت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية فى الفترة (١٢٠٤– ١٤٦١م)، حينما استولى عليها الأتراك العثمانيون. راجع:–

Moore, *The Pengune*, p. 791.

[٢]كيراسوس تكتب حديثاً جيريسون Giresun (هى ميناء خرسون وفقا للمصادر الإسلامية) مدينة على شاطئ البحر الأسود، إلى الغرب من طرابيزون، فهى ميناء هام يعد كمحطة أخيرة للطريق المؤدى إلى كولونيا في وسط آسيا الصغري. راجع:–

Fiaccadori,G.,"Kerasous", in: ***ODB***, p.1123.

[٣]إبيروس – باليونانية Ipiros وقديماً Epeiros – مقاطعة فى الشمال الغربى من بلاد اليونان فيما بين جبال بندوس والبحر الأيوني Ionian، واسمها يعنى اليابسة Mainland. راجع:– Moore, *The Penguin*, p.261.

[4] Pachymeres, *Relations Historiques*, Tome II, Liv.V., 30, pp. 534-536; **Miklosich, F., and Müller, J.,** (eds.), *Acta et diplomata graeca medii aevi*, 6 Vols., Vienna: Gerold, 1860-1890, Vol.1, p.339.

وقيل أن فوكايا كانت قريبة من الموانئ المناسبة من أجل شحن وتفريغ البضائع، وكذلك انخفاض أسعار النقل بدرجة أقل من غيرها. راجع:– Piri Reis, *Kitab-ı Bahriyye - Denizcilik Kitabı* [The Book of Navigation], ed. Senemoğlu, Y.T., Vol. 1, Istanbul, 1973, p.249.

[5] Balard,*La Romanie*, Tome II, p. 777; Fleet, *Trade Relations*, p. 213.

يذكر المؤرخ هايد أن الجنويين في جلطة لم يجرأوا علي الاحتجاج على هذا القرار خوفاً من زوال حظوتهم لدى الإمبراطور. راجع:–

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ٩٦.

[6] Pachymeres, *Relations Historiques*, Tome II, Li.V., 30, p 536; Balard, Romanie, Tome II, pp. 776-777; Fleet, *Trade Relations*, p. 204.

ومما يؤكد ردة فعل الجنوية أن سفينة تابعة لهم مرت من أمام القصر الإمبراطوري دون أن تؤدى التحية المعتادة، ودخلت البحر الأسود، واستولت على سفينة يونانية، تحمل شحنة كبيرة من الشب، ولم يكن من طبيعة ميخائيل باليولوجس أن يتسامح في مثل هذا النوع من الاحتجاج، فأرسل إحدى سفنه فتمكنت من القبض عليها، وأذاقهم الجنود أقصى أنواع العذاب. راجع:–

هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ٩٦.

الاحتكار الذي أثار كثيرًا من السخط في جنوا، بعد أن أبدى عزمًا قويًا في هذا الصدد[١] فردت أسرة زكاريا بحيلة أخرى للتحكم في الإنتاج والتصدير، أهمها قيام بنديتو زكاريا بتزويج أخته إلى باولينو دوريا Paolino Doria ممثل القومون الجنوي في كافا وطرابيزون، وعليه نرى شب كولونيا يُشحن خارج حدود البلاد ليصبح تحت سيطرة آل زكاريا، ثم قاموا بتأسيس علاقات تجارية مع الأسر القوية في جنوا، منها أسرة ديللا فولتا التي لعبت أدوارًا حاسمة بعيدًا في عرقلة تصدير الشب في البحر الأسود لأي أحد سوى آل زكاريا، وبالطريقة نفسها أسسوا علاقات تجارية قوية مع أسرة دنرجي De Negro الذين ظهروا –على نحو واسع– كمسئولين رئيسيين أو وكلاء لشحن الشب من طرابيزون، الأمر الذي يتضح من سجلات كافا ١٢٩٠–١٢٩٨م[٢]، ومما يؤكد ذلك، ذِكر أحد المؤرخين أنه اطلع على عشرات العقود التي تشتمل على تفويضاتٍ وتوصياتٍ ومبيعاتٍ تتعلق بأسرة زكاريا، مما يفسر إلى حدٍ بعيد أنهم كانوا يتحكمون بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ في تجارة الشب، والأمر المؤكد أن الأسرة طبقت احتكارًا مطلقًا لشحن الشب عبر البحر إلى الأراضي المنخفضة حتى عام ١٣١٤م[٣]، وهو العام الذي انتهت فيه سيادة الأسرة على فوكايا، وكذلك وصول أول سفينة تحمل الشب تابعة للبندقية إلى أسواق مقاطعة فلاندرز. في الوقت الذي ظل فيه مانويل نشيطًا في ممارسة العمليات التجارية من فوكايا ويطور مناجم الشب فيها، مستخدمًا أساليب الدهاء والدسيسة للحفاظ على احتكاره للشب القادم من كولونيا، ويقوم بتصدير شب فوكايا وكولونيا على حدٍ سواء، الأمر الذي أدر عليه الثروة حتى تراكمت[٤]، في الوقت الذي كان فيه بنديتو زكاريا يبحث عن المكانة المرموقة، كونه واحدًا من البحارة الجريئين في تلك الفترة، الأمر الذي ذكرناه سلفًا، وكذلك فتح أسواق لتجارتهم في الغرب.

وعليه أصبحت فوكايا اسمًا مرعبًا لكل القراصنة اللاتين في الشرق، خاصَة بعد خضوعها لأسرة زكاريا، ومن يحاول الاقتراب منها يفقد حياته أو على الأقل عينيه إذا وقع في أيدي آل زكاريا[٥]، وهذا ما دفع أحد المؤرخين إلى القول: "... إن تجارة جنوا وجدت غذاءً وفيرًا في منتجات خيوس وفوكايا، وإذا لم يكن لهذه الأخيرة إلا ما بها من شب فإن هذا المحصول يكفي وحده لإعطائها قيمة كبيرة ..."[٦]، ومثلت –كذلك– لجنوا خط دفاع

---

[١] الحقيقة أن هذا الاحتكار لم يدم طويلاً، ففى معاهدة ١٣٠٤م بين الإمبراطور البيزنطى وجنوا، نجد الشب من بين المواد التى يصرح للجنوية باستيردها – بحرية دون أن يدفعوا رسومًا عنها – من البلاد التي تشرف على البحر الأسود المستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية. راجع:– هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ٩٦.

[2] Balard, *La Romanie*, Tome II, p. 777.

[3] Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 53-54.

[4] Miller, The Zaccaria Deal, p. 44, Lopez, The Trade of Medieval Europe, p. 378.

[5] Miller, The Zaccaria Deal, p. 45.

[٦] هايد، تاريخ التجارة في الشرق جـ٢، صـ١٥٩.

مباشر في مواجهة التهديدات الخطيرة من قبل أعدائها، والفضل في ذلك لأسرة زكاريا[١]، وكانت مفتاحًا –إلى حدٍ بعيد– لامتلاك آل زكاريا لأملاك أخرى في بحر إيجة[٢].

ومثلما كانت فوكايا كذلك، كان آل زكاريا متفوقين في مقدار نجاحاتهم ليس فقط في التنوع المتعلق بالمصالح الخاصة[٣]، فشهرة الأسرة جاءت من مشاركتهم في عديدٍ من النشاطات المختلفة تحت مسمى الشركات الأخوية Fratenal Compania[٤]، فضلًا عن ذلك كانوا مشاركين في السياسة والمغامرات التجارية والدبلوماسية والأعمال الخيرية[٥]، غير أننا نستطيع الذهاب مع بعض المؤرخين بعيدًا ونقر أن النشاطات التجارية رغم أهميتها إلا أنها صعبة، ومع ذلك فأسرة زكاريا لم تقتصر عليها فقط، فعملوا في إنتاج الشب وكمُلاك للسفن التجارية وتجار وأصحاب بنوك تجارية، وفوق هذا وذاك متعهدي خدمة –استئجار أو تأجير–؛ لذا فهذه لم تكن اختصاصات التاجر، فهي شيء خاص بأسرة زكاريا في العصور الوسطى، فامتلكوا قدراتٍ فذة لتقديم النجاحات المختلفة بالتنوع في الممتلكات والحضور في المواقع المختلفة، والمشاركة مع عديدٍ من الحكام المختلفين[٦]، باعتبارهم ممثلين رئيسيين لجنوا، وكذلك حكام مسيطرين على بعض المدن الصغيرة القريبة من الموانئ الرئيسية، وكذلك دبلوماسيين وتجار من وإلى الأملاك البيزنطية، وأتباعًا للإمبراطورية البيزنطية فى بعض المدن.

ومما زاد من شهرة آل زكاريا نجاحات بنديتو الأول زكاريا، – سالفة الذكر– سواء من أجل القومون الجنوي أو الإمبراطور البيزنطي أو ملك فرنسا أو ملك قشتالة– لذا كانت غالية الثمن، وتدفع له إما فوريًا (كاش) أو تؤجل كدين، أو عن طريق هبة للعقارات كميناء سانت ماريا في قشتالة، فضلًا عن ذلك استخدم بنديتو هذه القوة العسكرية في أعمال القرصنة التي سببت مشاكل جمة للجنوية، الأمر الذي حدث في طرابلس عندما هاجم عديد من السفن المملوكية في الوقت الذي زعم فيه أنه يدافع عن مدينة احتلها الجنوية منذ سنوات قليلة[٧]، غير

---

(1) Pistarino, G., *Genovesi d'Oriente, Civico Istituto Colombiano Studi e Testi*, Genoa, 1990, p. 129.

(2) Becker, *Life and Local Administration*, p. 84.

(3) Reynolds, R.L, "in Search of a business class in the Thirteen Century Genoa", in: ***JEH***, 5, 1945, pp. 11-13.

(٤) الشركات الأخوية هي نوع من أنواع الشركات يضم أعضاء الأسرة الواحدة الراغبين في الاشتراك برؤوس أموالهم في التجارة، كما ضمت في بعض الأحيان من لهم علاقة بالأسرة عن طريق النسب أو الزواج، وقد استخدمت المدن الإيطالية هذا النوع من الشركات في تجارتها في البحر المتوسط. راجع: نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٢٧٥؛ حاتم الطحاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية، صـ ١٣٨

(5) Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 45-46.

(6) Reynolds, In Search of a business, pp. 12-13.

(٧) هذا الحدث يجسد مبدأ بنديتو زكاريا "السياسة، التجارة، المصالح، والأسرة الكل في واحدة" لذا يفترض امتلاكه لدعم كبير من السفن الجنوية للقيام بهذا، لكن المثير للاهتمام أن المساعدة هذه المرة جاءت من قبل Paolino Doria ابن بنديتو في القانون،

أن هذه الأفعال تعبر عن مكنون تلك الشخصية التي كان لها دورٌ فعال في شهرة تلك الأسرة، بما حققه من نجاحاتٍ مميزة على كل المستويات الدبلوماسية والعسكرية شرقاً وغرباً في البحر وعلى اليابسة.

ومما يرجح تلك الرؤية أن مانويل زكاريا أصبح أول حاكم لفوكايا تحت سيادة آل زكاريا، وبقي فى المدينة مع أسرته، وبدأ عملية إنتاج الشب بحوالى خمسين عاملاً، وقام بتحصيناتٍ قوية للمدينة، وأعاد بناء الأسوار الدفاعية الموجودة، فى الوقت الذي ظل فيه بنديتو الأول في مغامرته الاستكشافية ودبلوماسيته وواجباته العسكرية في البحر المتوسط من أجل جنوا وبيزنطة سوياً[١]، ويضاف إلى نجاحات الأسرة احتكارهم لتجارة الشب في حوض البحر الأسود، ليصبح بذلك شب آسيا الصغرى كاملًا في أيديهم، حتى أن في فوكايا وحدها – أواخر القرن الثالث عشر الميلادي– كان يعمل بها حوالي ثلاثة آلاف رجل وامرأة يستخرجون ما يقرب من أربعة عشر ألف قنطاراً سنويًا[٢]، وعلى الرغم من عدم معرفتنا بشكل دقيق شروط التعاقد –الخاصة بفوكايا– بين الإمبراطور وآل زكاريا، إلا أنه يرجح أن نوعًا من إيجار الأرض محدد بقيمة إيجارية سنوية تُدفع، تلك القيمة التي تحولت – ربما– في النهاية إلى ملكية كاملة لأسرة زكاريا[٣].

وعليه حاولت أسرة زكاريا ممارسة نوع من الاتحاد الاحتكاري الخاص[٤]، الذي كان مظهرًا في كل الاتصالات والأعمال التجارية المربوطة بالتعاقدات[٥]، هذا الاتحاد –بصفة خاصة– اعتمد على عشيرة العائلة،

وقنصل عام شبه جزيرة القرم الذي أرسل ثلاث سفن لوالده في القانون بعد نجاحه في إقناع التجار بالمساهمة بستة آلاف Aspres. راجع:– Bratianu, G. I., Actes des notaires genois de pera et Caffa, Bucarest, 1927, p. 221.

(1) Saĝlam, Urban Palimpsest, p. 222.

[٢] هناك ثلاثة مصادر تعبر عن الحقائق حول هذا النشاط في فوكايا أواخر القرن الثالث عشر وبدايات الرابع عشر الميلاديين. راجع:

Ramon Munater, *The Catalan Expedition to the East: from the Chronicle of Ramon Muntaner*, trans. Robert Hughes, Barcelona, 2006, pp. 126-28; Pachymere, *Relations Historiques*, Tome II, Liv.V, 30, pp. 534-543; Pegolotti, *praticca*, pp. 367-750.

(3) Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 51.

[٤] خالفت بذلك أسرة زكاريا ما هو معروف من أن أعلى مؤسسة هي الشعب، وأي عمل تجاري يقوم حول اتصالهم، فالناس يستطيعون إقامة علاقات لاستكمال أو تطويق المؤسسات غير الفعالة، ولذا فهو مطلوب لإتمام الأعمال التجارية، لأن هذه الأعمال تقوم على السلعة والأطراف التي تتداولها. راجع:

Epstein, S.A., *Genoa and the Genoeses, 958-1528*, University of California Press, 1996, p. 70.

[٥] هناك دراسة تحليلية قام بها كلٌ من إيرك برايس Eric Briys و ديتربرست Deter Beerst لنسخة عقد مؤرخ بعام ١٢٩٨م، وهي دراسة جادة في جوانبها، أفادت البحث في بعض الإحصائيات، فضلًا عن هذا يذكر أصحابها أنهم امتلكوا على الأقل مائة عقد متضمنة بشكل مباشر أو غير مباشر اسم أسرة زكاريا، وهذه العقود معترف بها قانونيًا، وتتعلق بالأعمال التجارية للأسرة، تخص المستخدمين والمجهزين والزبائن والمستثمرين الخارجيين. عن العقد راجع:

التي سُميت في القرن الثالث عشر الميلادي بـ Albergo – هيكل تنظيمى ترتبط فيه عدة عائلات بالدم أو مصالح مشتركة– الذي يأتي على قمة العائلة أي "الأب العائلي" وفي صيغ العقود يسمى Domus،– مسكن عائلى مقسم إلى جزئين– وفيما يخص أسرة زكاريا كان واضحًا أن بنديتو الأول يمثل قيادة الأسرة في الأعمال التجارية إلى حدٍ بعيد، وكان بينه وبين أخيه مانويل ودٌ أخوي –رغم وجود خلافاتٍ أحيانًا– فاهتما معًا بتجارة الشب من فوكايا المهمة التي كانت تتعرض لأخطار، غير أنهما كانا متحدين معًا في أوقات الشدة والرخاء، فصيغ العقود توضح أنهما وافقا سويًا –إلى حدٍ بعيد– على كل ما يتعلق بتجارة الشب في فوكايا، أما عن علاقة بنديتو بأخيه نيكولو Nicolo فكانت بدون شك أقل درجة من علاقته بمانويل، فهناك على سبيل المثال عقد داخلي مع التجار الجنويين يمثل استئجار سفينتين مملوكتين إلى بنديتو ونيكولو زكاريا للإبحار إلى إنجلترا في عام ١٢٧٨م، والأمر ذاته مع ابنه الأكبر باليولوجس، فوفقًا للقانون الجنوي كانت العلاقة بين الأب والابن غالبًا قائمة على صيغة قانونية تشمل المسئولية والالتزام، وعليه فقد حصل باليولوجوس على توكيل من أبيه يفوضه في إدارة كل الأعمال التجارية مع الآخرين المتعلقة بالإدارة أو تحصيل الأموال، على الرغم من أن هذا العمل لم يكن مألوفًا لدى العقلية الفردية الجنوية بأن يعطي مطلق التصرف للآخرين ولا حتى الأقارب، تلك الحالات كانت محدودة جدًا[١]، ولعل الدافع إليها هو اتساع النطاق التجاري لأسرة زكاريا بين الشرق والغرب، وانشغال بنديتو الأول نفسه بالجانب المتعلق بشمال وغرب أوروبا، فضلًا عن انشغاله بنشاطاته السياسية والدبلوماسية والعسكرية.

وبنديتو الأول كونه رأس أسرة زكاريا كان يمكن أن يصبح مؤجرًا أو مستأجرًا للآخرين، إلا أنه حصر نفسه في نطاق أسرته على تشكيل دائرة مغلقة، حتى أنه في نهاية حياته انتدب ابن أخيه أو أخته تديزيو Tedisio[٢] للمشاركة في الإدارة، على الرغم من تعدد العائلات الجنوية في ذلك الوقت وامتلاكه هو شخصيًا – بنديتو– تسعة من الأخوة والأخوات[٣]، وعلى ذلك، كانت العلاقات التجارية مثبتة أيضًا بواسطة الزواج بين الأسر الكبرى، لذا ارتبطت بعض الأسر الكبرى بأسرة زكاريا بشكل تدريجي عن طريق الزواج، في الوقت الذي

Les relations Commerciales entre Gênes, La Belgique et L'Outremont d'aprés Les archives notariéles génoises aux XIII et XIV Siécles, ed. Renée Doehaerd, 3 Vols., Brussey, Palais des Académies, 1941, Vol. 3, n. 1530.

للترجمة الكاملة لهذا العقد، راجع:– Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 76-80.

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 72-73.

تردد اسم شخص يسمى ماثيو زكاريا Matheo Zaccria يعمل بودستا لجنوا في قبرص ١٢٩٢م. راجع:–

هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢،صـ ٢٤٨.

(٢) هو في الحقيقة ابن لـ Clarissa Fiesthi التي كانت زوجة لابن عم بنديتو. راجع:

Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 73.

(3) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 73.

يقول البعض إن أسرة زكاريا لم تكن متحمسة لإقامة روابط تجارية مباشرة مع الأسر الكبرى الأخرى، ما عدا أسرة دنرجي[١]، ولعل ما دفعها إلى ذلك هو تطبيق الاحتكار التجارى، فى وقت تلقى فيه معارضة من الداخل والخارج ممثلة في الإمبراطور، الذي ربما ألغى أو سيلغي قراره السابق بالموافقة على الاحتكار، وكذلك القومون الجنوي الذى رفض هذا القرار.

ولأحكام السياسة الاحتكارية كان هناك حوالي ثلاثة آلاف شخص يعملون في فوكايا في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، جندهم آل زكاريا لإنتاج الشب، وأيضًا هناك أشخاص مهمون لدعم الوظائف التجارية والخاصة بالأسطول، ودفع الرواتب والنفقات لعديد من المئات، ويفترض ما يتعلق بالملاحين والرجال والجيوش لحماية السفن، وهناك فئة أخرى جديرة بالاعتبار عملت دون عقود توظيفية وهم العبيد، فآل زكاريا مثلهم مثل كل الجنوية عملوا على شراء وبيع واستخدام العبيد رجالًا ونساءً وأطفالًا[٢]، وهذا يرجح أن أسرة زكاريا رغم احتكارها لتجارة الشب إلا أنها تركت لنفسها العنان فى المتاجرة في كثيرٍ من السلع الأخرى.

وفوق هذا وذاك، امتلك آل زكاريا أسطولًا من السفن التجارية يمثل ثروتهم الشهيرة[٣]، ووفقًا لرؤية المهتمين، كانت السفن في القرن الثالث عشر الميلادي تُسمى بأسماء مدنية في إشارة إلى اسم صاحبها، مثل Bendicta[٤]، هذه السفن جعلتهم يتخطون حدود الجغرافيا في العصور الوسطى، وخلقت لديهم ثروة وعقيدة تجارية في المستقبل دفعتهم إلى امتلاك فنادق أيضًا، وفضلًا عن هذا امتلكوا استراتيجية تجارية واحدة يشترون الشب بسعرٍ قليل أو يستخرجونه ويبيعونه في الأسواق البعيدة بسعرٍ عالٍ، وهي الاستراتيجية التي لاحظها بيجولوتي وفقًا لقول أحد المؤرخين[٥]، وهناك أحد المؤرخين امتلك وثيقة مؤرخة بعام ١٢٨١م توضح قيام أسرة زكاريا بإعادة بيع الشب لمستثمرين آخرين محليين، وفوق هذا امتلكوا عروض أسعار[٦]، وهذه الاستراتيجية خلقت لهم اتساعًا حقيقيًا للممتلكات والسندات التجارية، ووفقًا لقول أحد المؤرخين، هناك وثائق تعطي شهادة على امتلاك أسرة زكاريا لممتلكات في جنوا وخارجها[٧]. وامتلكوا فنار لشركة في بيشجلي Bisceglie[١]، وأسهم مالية

---

(1) Blard, *La Romanie*, Tome II, pp. 525-526; Rohan, P., The Genoese Levantine Colonies at the Birth of Ottoman Imperial power: a framework for inquiry, MA in Istanbul Şehir University, 2015,p. 36.

(2) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 74.

(3) Lopez, Benedetto, p. 132; Balard, *Gênes et L'Outre-Mer*, Tome II, p. 535.

(٤) يقال إن لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) في حملته على تونس أبحر على سفينة جنوية تسمى Divitia التي ربما تعني المال أو الثروة. راجع:- Kedar, Merchants, p.96; Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 47.

(5) Blard, *La Romanie*, Tome II, p. 544; Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 47-48.

(6) Lopez& Raymond, Medieval Trade, pp. 227-228.

(7) Lopez, Benedetto, p. 57.

هذا يمكن أن يكون Logia أو Porticus أو Plazzo، فندق أو حتى كل الحي، وهذه المكتسبات تعود إلى فترة بنديتو زكاريا وأخيه مانويل اللذين استثمرا المغامرات التجارية. راجع: Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 48.

مالية في صناعة القماش في فلورنسا Florence[٢] أو على الميناء البحري، فضلًا عن بيت للصباغة في جنوا[٣]، وقاموا ببناء فندق فى شبه جزيرة القرم[٤]، وهذا يؤكد على اتساع النطاق التجارى لأسرة زكاريا.

وكان الشب مفتاح السلع، ونوع المنجم الخاص به إما أن يكون كبريتات بوتاسيوم K_2So_4، أو شب بوتاسيوم $Al_2 (So_4)_2$، أو بوتاس الشب K_2So_4 ، وكما هو معروف أن شب فوكايا قد اكتُشف قبل أسرة زكاريا، غير أنه أصبح تجارة ضخمة في عهد تلك الأسرة، وعلى ما يبدو أن عديدًا من الجنويين قد لعبوا دورًا رئيسيًا كتجار للشب قبل امتلاك أسرة زكاريا لفوكايا[٥]، وهناك وثيقة مؤرخة بالسابع عشر من يونيو ١١٦٤م، بها تفاصيل لقائمة جرد لمنزل تاجر غني يُدعى Guglielmo Scarsaria جاء فيها شب من قشتالة[٦]، وأخرى مؤرخة بعام ١٢٢٥م يتضح منها معالم صفقة تجارية لمخزون من الشب موجود في جنوا من أجل إرساله إلى بروج على يد اثنين من التجار[٧]، وثالثة مؤرخة بعام ١٢٤٤م توضح تجار جنويين يصدرون الشب إلى بروج عبر الطرق القارية[٨]، ويوجد هناك صفقة تجارية قامت بها أسرة زكاريا بتصدير شحنة من الشب المستخرج من فوكايا من خلال وكيل في عام ١٢٦٨م[٩]، وهذا يرجح أن آل زكاريا وخاصة مانويل كان يدرك أهمية شب فوكايا، فسعوا سعيًا حسيسًا لامتلاكه، فضلًا عن هذا إدراكهم الكامل لحاجة شمال أوروبا والأراضي المنخفضة لهذا المنتج؛ لانتشار صناعة القماش هناك.

---

[١] بيشجلى، مدينة ايطالية، وميناء هام في إقليم بارى Bari بأبوليا Apulia على البحر الأدرياتاكى Adriatic على بعد خمسة وثلاثين كيلو متر غرب وشمال غرب بارى. راجع:- Moore, *The Penguin*, p.104.

[٢] فلورنسا، بالإيطالية Firenze وهى فلورنتيا Florentia قديما كانت عاصمة لإقليم Firenze في توسكانى Tuscany ، تقع على ضفتى نهر أرنو Arno. راجع.- Moore, *The Penguin*, pp.280-281.

[3] Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 48; Postan, M. M., The *Cambridge Economic History of Europe: Trade and Industry in the Middle Ages*, Cambridge, 1966, p. 378; Sinclair, T., "Eastern Trade and the Mediterranean in the Middle Ages: Pegoloti's Ayas-Tabriz Itinerary and its Commercial Context", in: *Birmingham Byzantine and Ottoman Studies*, Vol.25, London and New York, 2019, pp.134-150.

[4] Lopez, The Trade of Medieval Europe, pp. 227-228.

[٥] عن تجارة الجنويين الخاصة بالشب قبل ١٢٧٥م، راجع:

William of Rubruck, The Mission, p. 273; Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 48-50.

[6] Epstein,S.A., *Genoa and the Genoese, 958-1528,* The University of North Carolina Press, 2001, pp. 60-61.

[7] Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 51.

[8] Doehaerd, R., Les galères génoises dans la Manche, p. 18.

[٩] هذه الوثيقة عبارة عن خطاب مُرسل من بنديتو زكاريا يأمر دنيال دى ماريا Daniele de Mari لبيع مائتى وواحد كيس من الشب، وواحد Pondus من المصطكى. راجع: Lopez& Raymond, Medieval Trade, pp. 219-220.

وعليه يتضح أن عملية نقل شحنات الشب الخاصة بالتجار الجنويين كانت تتم عبر أراضي مملكة فرنسا، ومن المحتمل فوق العربات التي تجر بالبغال أو على ظهور البغال[١]، والتجار الجنويين كان لديهم خيارات مختلفة لنقل الشب إلى شمال غرب أوروبا، إما بالسفن إلى ما وراء الجبال عبر فرنسا ثم كونتية فلاندرز Flanders[٢] حيث الأسواق الموسمية هناك، ومع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي كانت البضائع تذهب إلى تورين Turin[٣]، ثم تستونا Testona، ثم مونجنفرا Monginevra[٤]، وفي النهاية إلى مقاطعة سافوي Savoy[٥]، والبديل كان إرسال السفن إلى أجيمورت Aigues-Mortes[٦] التي يتضح جليًا أهميتها الاستراتيجية، فهي نقطة انطلاق لتغلغل تجارة الشب إلى شمال القارة الأوروبية فيماهو معروف بالأراضي المنخفضة، وبمعنى أدق اقتصر دورها على الناحية التسويقية.

ومنذ عام ١٢٧٧م أسس آل زكاريا ثلاثة طرق لتجارة الشب، الأول يتمثل في الإبحار مباشرة من البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق إلى سواحل الأطلنطي إلى مملكة إنجلترا، ومنها إلى دوقية نورماندي Normandy ثم الأراضي المنخفضة، والرجل الذي كان وراء هذا الابتكار هو بنديتو الأول زكاريا، والسلعة الرئيسية في التجارة في ذلك الوقت كانت الشب، والثاني من جنوا إلى أجيمورت، ومن هناك يواصل طريقه إلى شمال أوروبا –كما اتضح سلفًا– والثالث من أجيمورت إلى ميورقة Majorca وبرشلونة Barcelona[٧]، ومنها إلى سواحل الأطلنطي أو الأراضي الفرنسية، ومن هناك تكمل البضائع طريقها إلى الأسواق الموسمية في مقاطعتى شامبانى وفلاندرز.

---

(1) William of Rubruck, The Mission, pp. 270 -75; Briys and Beerst, The Zaccaria Deal, p. 51.

(٢) فلاندرز: كونتية فرنسية. تتميز أراضيها بالانخفاض، لذا كان هناك اختلافات كبيرة فى مساحتها عبر مراحل التاريخ، وكانت تتقسم تتقسم إلى قسمين فلاندرز الفرنسية، والجزء الآخر يتبع مقاطعة بولونيا. راجع:- Moore, *The Penguin*, p.280.

(٣) تورين: مدينة فرنسية، تشغل إقليمًا قديمًا يشغل جزءًا من إقليم اندر آت – لوار Indre – et – Loire عاصمتها مدينة تورز، يصب فيها نهر اللوار. Moore, *The Penguin*, p. 791.

(٤) لم يستدل الباحث على تعريف لمدينتى تستونا ومونجنفرا.

(٥) سافوي، دوقية في جنوب شرق فرنسا، وفى الوقت الحاضر تتقسم إلى قسمين Hautesavoie شمالاً، وسافوي جنوباً، يحدها من من الشمال والشمال الشرقى سويسرا Switzerland، وشرقاً إيطاليا. راجع:- Moore, *The Penguin*,pp.699-700.

(٦) كان موقع أجيمورت مهمًا لعاملين أساسيين –على الأقل–، الأول هو الرابطة القوية التي تربط هذا الميناء بالقومون الجنوي والجنويين، حيث وصلوا إلى هناك منذ بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، فقاموا بالمساعدة في بناء الموانئ ووضعوا الأسس الأولي لصناعة السفن. والثاني موقع أجيمورت كان مثاليًا، فمن هناك يُنقل الشب مباشرة إلى أسواق مقاطعة شامباني عبر الرون Rohone من خلال السأوون Saone، ثم ينطلق شمالًا إلى الأراضي المنخفضة. راجع:

Jehel, G., Les Génoise en Méditerranée, p. 57-59.

(7) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 51.

وعليه فأسرة زكاريا مثلت تطور النموذج التجاري في العصور الوسطى، حينما لعبت دورًا رئيسيًا كرابط بين إعداد الشب في الشرق وبيعه في الأسواق الغربية، فتجارة الشب كانت تسير بشكل رأسي في سلسلة مباشرة منذ الإنتاج حتى المستهلك، لذا يتضح أن أسرة زكاريا امتلكت عديدًا من الخيارات التجارية فيما يخص تجارة الشب، إما التركيز على أهمية السعر، بالذهاب بالمنتج إلى أبعد نقطة ممكنه لبيعه فيها، أو أن يركز فقط على الإنتاج وبيعه إلى تجار محليين في فوكايا، وبمعنى آخر يمكن لهم أن يبحروا بسفنهم أو بتأجير سفن أخرى للاقتراب من السوق في غرب أوروبا، بناءً على الطلب اللوجستي؛ لذا قرروا –آل زكاريا– ألا يذهبوا بعيدًا واضعين في اعتبارهم التخلص من المخزون في أجيمورت لو أن سعره –الشب– يقارب سعره بعد رحلة طويلة خارج حدود نطاقهم، الأمر الذي لا يكون مستحقًا معه الجهد والعناء، أو بدلًا من ذلك، يمكن لآل زكاريا حفظ المخزون من الشب في أجيمورت لأسباب، ربما يأتي في مقدمتها أن الطلب المحلي عليه كان ضعيفًا في الماضي، أو ربما توقعوا زيادة في الطلب عليه في المستقبل، وأن سعره سيزيد فيتم تسويقه من هناك لأقرب مركز للقماش، إما ببيعه أو نقله عبر وادي الرون مباشرة إلى الأسواق في مقاطعة شامباني، أو الذهاب شمالًا إلى الأراضي المنخفضة، بناءً على طلب من بروج أو نورماندي[١]، وفى ظل هذه الخيارات كانت لأسرة زكاريا أن تقرر إما اتباع واحدة أو اثنتين من تلك الوسائل المطروحة، أو أن تقرر امتلاك مشروع تجاري في الصباغة، وهذا ما فعلوه في أماكن عدة بالقرب من جنوا، كحل لتنوع مصادر الدخل وتصريف الإنتاج الزائد من الشب.

وعليه قرر آل زكاريا أن يعملوا على التكامل الرأسي والأفقي من خلال التحكم المباشر في إنتاج الشب، وغير المباشر بنقله والتجارة فيه، أي أنهم يمتلكون المناجم ويتحكمون في السعر إما بتثبيته بشكل غير رسمي، بالاتفاق مع المنافسين أو باحتكار السلعة، وهذا ما فعلوه بالضبط مع الشب[٢]، وعليه فقد وضعت أسرة زكاريا خطة تتناسب مع سياسة الاحتكار من الإنتاج إلى البيع في النهاية للمستهلك، ارتكزت هذه الخطة على عدة أسئلة رئيسية، منها: هل أسرة زكاريا أرادت أن تشارك في العمليات التجارية أم لا؟ هل أرادوا امتلاك حصة من إنتاجه فقط؟ أم أرادوا لأنفسهم أن يكونوا مجرد مخزن أو ناقل للشب؟ وإن امتلكوا، فهل أرادوا أن يبيعوا الشب لتجار آخرين محليًا؟ أم أرادوا أن يتاجروا فيه بأنفسهم؟ وإجابة هذه الأسئلة ارتبطت بجوهر الشب وقيمته التسويقية التي تمثل عاملًا أساسيا للمتاجرة فيه، وفوق هذا وذاك ارتباط الشب بأسرة زكاريا صاحبة المميزات الفريدة من نوعها، والتي تعي فنون الإدارة وتمتلك مهارات النقل، فضلًا عن العلاقات السياسية، كل هذه العوامل حسمت المنافسة لصالحها، مع التجار الآخرون، وجعلتهم – أسرة زكاريا– نموذجًا مثاليًا في تحقيق تكامل رأسي وأفقي،

---

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 52.

(2) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 53.

عن التجارة فى الأراضي المنخفضة. راجع:-

Gelderblom, O., "Cities of Commerce The Institutional Foundations of International Trade in the Low Countries, 1250-1650", Book manuscript, December 2010, pp.1-29.

يبدأ مع الإنتاج في فوكايا أو الشراء من حوض البحر الأسود، وينتهي بتسويقه في أكبر الأسواق الموسمية في غرب أوروبا، تلك الأقاليم التي لم تكن غريبة عن آل زكاريا؛ لوصول بنديتو الأول إلى هناك منذ سنوات ليست بالقليلة.

والأدلة كثيرة على نمو النشاط التجاري لأسرة زكاريا باعتبارهم قادة متحكمين مباشرة في شحن الشب إلى الأراضي المنخفضة، أو شركاء مع تجار آخرين أو خبراء ماليين، فضلاً عن هذا امتلاكهم أسطولًا كبيرًا منظمًا قام برحلات حتى بحر الشمال، الأمر الذي دفعهم إلى ابتكار تقنياتٍ عديدة وأساليب تحمى تجارتهم، وبعبارة أخرى كانت أسرة زكاريا شريكًا أسآسيا في كل ما يتعلق بتجارة الشب من الشرق إلى الغرب، فيما يُسمى التكامل الرأسي، في الوقت الذي تحكمت في الإنتاج والتجارة حتى الأسواق فيما يُسمى بالتكامل الأفقي، وعليه يمكن القول أن أسرة زكاريا يمكن أن تنتج من المناجم المملوكة لها في فوكايا، أو تشتري نقدًا من مناجم أخرى، مثلما فعلت مع كولونيا بشكل مباشر، أو من خلال وسيط تجاري، ويؤكد أحد المؤرخين أن هناك عديدًا من العقود توضح ذلك[١]، وهناك نموذج مسجل يذكر أن أسرة زكاريا باعت ثلاثة وثلاثين طنًا من الشب المُصنع في بروج[٢]، فضلًا عن أخرى تؤكد على شحن سفنهم الخاصة بستمائة وخمسين قنطارًا من الشب –أي ما يعادل خمسة وثلاثين طنًا– من أجيمورت إلى بروج[٣].

إلا أن سياسة الاحتكار لتجارة الشب من قِبل أسرة زكاريا دفعتهم إلى الاستثمار في الممتلكات، بتعدد مصادر إنتاجه وبناء السفن، وتجنيد المستخدمين، والتعاقد مع الوكلاء، وشراء مخازن لتخزين السلع، محاولين بذلك استيعاب الإنتاج، في الوقت الذي كان من الممكن أن يُباع جزء من هذا الإنتاج إلى تجار آخرين، إلا أن قرار مثل هذا لآل زكاريا لابد أن يكون مدفوعًا بأسباب عديدة أهمها عدم قدرتهم على تجهيز الدرجة المطلوبة من الشب، وعدم مقدرتهم على التكيف مع الأخطار الخارجية، وعدم قدرتهم على التنوع في الاستثمارات، فضلًا عن صعوبة تجميع المعلومات عن الأسواق الغربية، وفي النهاية عدم تأمين الإخلاص من الشركاء الرئيسيين بالمشاركة معهم في بعض فرص الأعمال التجارية، وعليه يمكن طرح سؤال،هل أسرة زكاريا كان لديهم القدرة على التغلب على هذه المعوقات؟ وإن كانت الإجابة بنعم، فكيف أنهم استطاعوا تنفيذ هذه الإجراءات والتغلب على هذه الأخطار للقيام بمغامراتهم التجارية؟

في الوقت الذي كانت فيه تجارة الشب بين فوكايا وأجيمورت، ومن ثم من أجيمورت إلى بروج محفوفة بمقدار من المخاطر؛ لوجود إشارات تدل على سوء الوضع السياسي في مقاطعة فلاندرز إحدى محطات الأسواق

---

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 54.

(2) Postan, The Cambridge Economic, p. 378; Sinclair, Eastern Trade, p.150.

(3) Les relations Commerciales entre Gênes, Vol. 3, no. 1530.

تم نشر هذه الوثيقة في: Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 76-78.

الموسمية، حال التوتر بينها وبين الملك الفرنسي فيليب الرابع الجميل Philip IV The Fair (١٢٨٥-١٣١٤م)، ومن ناحية أخرى كانت التجارة في الأماكن البعيدة في العصور الوسطى محفوفة بأخطار عديدة، تبدأ من الأسعار وأخطار الأسواق والأخطار الكارثية في البحر، وأخيرًا اختلاف قيمة العملة[١]، الأمر الذي دفع أحد المهتمين إلى القول: "...إن آل زكاريا سخروا سفنهم المملوكة لهم في توزيع الشب إلى الأقطار المختلفة، ووظفوا دبلوماسيتهم وعسكريتهم لاتساع أسواقهم..."[٢] فى الغرب الأوروبى.

كانت عملية تجهيز الشب بصورة كاملة تتم في فوكايا والمواقع الأخرى المنتجة له، من أجل البيع في الأسواق البعيدة، حيث ظل سعره فيها ثابتًا – من القرن الثالث عشر حتى نهاية الرابع عشر الميلاديين- مع بعض الاستثناءات مثل الرفع الفُجائي أو الخفض الفُجائي بسبب حدوث أزمات كالموت الأسود Black Death -منتصف القرن الرابع عشر الميلادي- أو استيلاء الأتراك السلاجقة على آسيا الصغرى مع نهايات القرن الرابع عشر الميلادي[٣]، كذلك حينما تُشحن كميات كبيرة إلى أسواق الغرب المفرغة لم تكن تستوعبها؛ لأن المشترين لم يكونوا جاهزين لدفع التكلفة كاملة -الخاصة بالشب- خاصةً في حالات الركود الاقتصادي المتعلق بصناعة القماش هناك، ومع ذلك ربما كان التحكم الجنوي – ومن بينهم آل زكاريا- جزءًا هامًا ارتبط بالتجهيزات والسعر، خاصة لو علمنا أن سعر القنطار حُدد بأربعين صولديًا Sold[٤]، وعليه يتضح أن سعر الشب كان مرتبطًا بالتقدم الملاحي، من خلال استخدام سفن شحن كبيرة، أو الإنتاجية، أو حدوث أزمة حادة، متعلقة بالمنتجات التي يدخل في صناعتها الشب في تلك الفترة، أو الظروف السياسية أو العوامل الجغرافية، الخاصة بأماكن تصريف المنتج، وكذلك مقدرة آل زكاريا التغلب على الأخطار التي تعوق تجارتهم الخارجية والتي ستضح في السطور التالية.

أما ما يتعلق بقدرة آل زكاريا التغلب على هذه الأخطار، والتي فى مقدمتها القراصنة الذين يجوبون البحر، على مقربة من مضيق جبل طارق وخليج جاسكوني Golf of Gascony، وأيضًا القنال الإنجليزي حيث السفن المتوجهة إلى سوثامبتون وبروج يتعرضون إلى هجمات بانتظام[٥]، وكذلك حالة الطقس، فالطقس السيء –

---

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 54.

(2) Aygün, The Flesh eating, p. 180.

(3) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 54-55.

(٤) الأعراف المتعلقة بالعملة في العصور الوسطى اتفقت على أن الليرا Lira (L) = ٢٠ صولدي (.S) = ٢٤٠ Denari (.D). أما الصولدي فهو عملة لاتينية تعني باليونانية نوميسما Nomisma، وهي عملة من الذهب الخالص تزن أربعة جرامات وثلاثة وأربعين جزءًا من الجرام تقريبًا. وقد ظل الصولدي على وزنه ونقائه حتى القرن العاشر الميلادي، ثم استمر بعد ذلك مع تخفيض تدريجي في القيمة حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي مع اختلاف المسمى. راجع: محمود سعيد عمران، النقود في أوروبا العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص ١٠، ١٨-١٩.

(5) Gelderblom, O., *Violence and Growth. The Protection of long distance trade in the low Countries, 1250-1650*, Utrecht University, 2015, p. 77.

بشكل خاص– مع عدم وضوح الرؤية يمكن معه أن تقع أشياء سيئة للسفن[١]، وعليه فالسؤال الذي يطرح نفسه، كيف استطاعت أسرة زكريا مواجهة تلك الأخطار؟ فالمعروف أن بنديتو الأول زكاريا كان يطلق عليه لقب "سيد البحر Master of the Sea" لعسكريته الفريدة ومهارته الملاحية الفائقة؛ لذا فربما تغلب على هذا الخطر بتأسيس قافلة من السفن المدرعة لحماية سفن الشحن، فمثله كان مشرفًا على الأسطول الخاص بالملك الفرنسي، وعلى معرفة كاملة بالخلافات السياسية القائمة بين مملكة فرنسا ومقاطعة فلاندرز، وكذلك التوتر بين مملكتي إنجلترا وفرنسا، تلك الأحداث من شأنها أن تمثل زيادة في الأخطار الكارثية، إلا أنهم –آل زكاريا– كان عندهم القدرة على إدراك هذه الأخطار وتفاديها[٢]، لمواصلة أنشطتهم التجارية إلى أبعد نقطة في الغرب الأوروبي.

أما عن أخطار العملة، فكون تجارة الشب تجارة دولية، فهي ستعاني من الأخطار المتعلقة بتأرجح قيمة العملة، فنموذج آل زكاريا كان ينتج الشب من فوكايا ويدفع لمستخدميه بالهيبربيرا Hyperper[٣]، ثم يشحن السفن لبيعها في جنوا أو للتخزين هناك[٤]، وفي حالة الخلاف معهم كان يدفع بالليرة، ولو أن المكان المقصود متعلق بمغامرتهم التجارية في شمال أفريقيا العملة المحلية كانت البيزنت، أما شمال أوروبا ومملكة فرنسا وفلاندرز وشامباني كان يُدفع بالتوراني الفرنسي Tournois[٥]، وعليه يتضح أن آل زكاريا قد أدركوا جيدًا أن نسب التبادل بين العملة كانت غير ثابتة في التجارة البعيدة؛ لذا أدركوا مثلما أدرك التجار الآخرون في جنوا هذا الأمر، فرأوا أن الطريق الأفضل للتغلب على هذه العقبة هو امتلاك جنوا لعملة قوية، وعليه أصبحت جنوا المُنتج

---

[١] يذكر أحد المؤرخين أنه وجد في سجلات التاجر الإيطالي Datini تقدير يقدر بأن نسبة الفقد في السفن الذاهبة إلى فلاندرز بلغت ٢% من عدد السفن. راجع: Beerst,& Briys, The Zaccaria Deal, p. 55.

[2] Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 55.

[٣] ظهرت الهبيربيرا الذهبية ومعناها "النقية جداً" لأول مرة في عهد الإمبرطور ألكسيوس الأول كومنين، الذى رأى ضرورة تخفيض وزن النوميزماتا الذهبية من ٢٤ قيراط إلى ٢٠.٥ قيراط أي من ٤.٥٥ جرام ذهبى إلى٣.٨٤ جرام ذهبى، وكانت الأكثر انتشارًا في شرق البحر المتوسط، حتى نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وكان اسمها يعطى معيارًا للعملات الذهبية الأخرى. ومع بدايات النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادي تحولت إلى عملة فضية ثم أُستبدلت بالفلورين Florin. راجع:

Grierson,Ph., *Byzantine Coinage*, Washington,1999, p.11;Lopez,R.S.," The Dollar of the Middle Ages", ***JEH***, Vol. 11, No. 3, part 1,(Summer 1951), pp. 211-213; Fleet, K., *European and Islamic trade in the Early Ottoman State, the Merchants of Genoa and Turkey*, Cambridge, 2004, p.13; Cormack,R., *Icons*, Harvard University, 2007, p.37.

[٤] يعتقد المؤرخ لوبير أن القومون الجنوي أعطى احتكارًا مطلقًا لأسرة زكاريا لتوريد الشب إلى جنوا. راجع:

Lopez, *Genova Marinara*, p.72.

[٥] التوراني الفرنسي: هو الدينار التوري Denier Tournois نسبة إلى مدينة تور، بدأ سكه منذ لويس الثامن Louis VIII (١٢٢٣–١٢٢٦م)، كان قطره ثمانية عشر ملليمتر، ويزن تسعة وتسعين جزءًا من المائة من الجرام. راجع:– محمود سعيد عمران، النقود في أوروبا، ص ٨٧.

الأول للعملة الذهبية في عام ١٢٥٢م[١]؛ لأن التوسع التجاري والمنافسة مع المدن التجارية الأخرى، فضلًا عن فقدان الاستقرار السياسي، كل هذه العوامل جعلت جنوا غير قادرة على إنتاج الدولاري Dollar في العصور الوسطى[٢]، وكذلك اختفاء العملة الذهبية وإحلال العملة الفضية محلها- خاصة فى الإمبراطورية البيزنطية- إلى جانب تقلبات الأحوال المالية وانخفاض نسبة المعادن الثمينة فى العملة من مكانٍ إلى مكان، كل هذه العوامل دفعت آل زكاريا للبحث عن حل لتلك المشكلة.

مثلت العملة خطرًا للتجار والمصرفيين وفي مقدمتهم آل زكاريا؛ لذا أسرعوا في إيجاد الحلول لإتمام الصفقات التجارية -بدايات القرن الثالث عشر الميلادي- فقد وُجدت وثائق محددة تتعلق بحماية رأس المال للمنتجين (المُصدرين) من خلال الزيادة أو النقص الفجائي للعملة المتبادلة[٣]، في الوقت الذي ابتكر فيه الخبراء الماليون -أواخر العصور الوسطى- ابتكاراتٍ تتعلق بالتوازن في نسب التبادل بين العملات الأجنبية على نحوٍ وجيه يرتكز على التجارة الموسمية[٤] وطريقة دفع قيمة الصفقات نقدًا وبالتقسيط[٥]، خاصةً إذا ما وضُع فى الاعتبار أن الملك الفرنسي فيليب الرابع كان أول من تدخل في عملية غش العملة، وأنه أنقص وزنها داخل دور سك العملة مما أعتبره المؤرخون عارًا عليه.

---

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 55.

(2) Balard, M., "Assurances et Commerce maritime á Gênes dans La Seconde moitié du XIV^{e} Siécle" in: *Les transports au Moyen Âge, Actes du VIIth Congrés des Historiens Médiévistes de L'Enseignement Supérieur Public, Annales de Bretagne et des Pays de L'Ouest,* Tome 85, (2), 1978, pp. 273-282.

(3) Day, J., *Les Monnaies et Marchés au Moyen Age, Comite Pour L'Histoire Economique et Financière, Ministère de L'Economie*, Paris, 1994, p 54.

كانت قيمة العملة التي تمر عبر البلاد تتغير قيمتها بنقاء المعدن المصنوعة منه، فعلى سبيل المثال عملة مدينة مونبلييه Montpellier المصنوعة من أنقى أنواع الفضة، كان الجنيه الفضي الخاص بها كامل الوزن، يقل بني Penny واحد أو اثنين على الأكثر من الجنيه الإنجليزي، أما جنيه الفلاندرز فيقل أربعة بنسات عن الجنيه الإنجليزي، أما الدينار البندقي والجنوي فيقل بنيًا واحدًا، أما جنيه مدينة كلوني Colony غير السليم فيقل بثلاثة شلنات Schillings، وكذلك دينار بروكسل Brussels. راجع:- محمود سعيد عمران، النقود في أوروبا، ص ١٥٦.

(4) Day, *Les Monnaies*, p.54; Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 55.

(٥) في هذا النوع من الصفقات ينقل البائع بضاعته وفقًا لاتفاق بينه وبين المشتري على الدفع نقدًا أو بالتقسيط مع تحديد السعر، وأحيانًا تُعطي مهلة صغيرة بين البائع والمشتري، وعادة لم تكن طويلة، فأحيانًا ساعاتٍ أو أيام قليلة بقيت صعبة التحديد.

لمزيد من النماذج والتطور الشكلي لها. راجع:-

Kohn, M., *The Origins of Western Economic Success: Commerce, Finance and Government inpre-Industrial Europe*, Mimeo, 2005, pp. 112-113.

هذا النوع من الصفقات كان موجودًا في أسواق الشب حتى عام ١٢٩٨م؛ لأن التجارة البعيدة كان يتحكم فيها الوقت والمكان، فالبائع والمشتري لم يكونا قادرين –على ما يبدو– على الدفع وفقًا لعدم ثبات العملة، فضلًا عن المخاطر المترتبة على تأجيل الدفع إلى ما بعد التوزيع، مع صعوبة تحديد السعر مقدمًا؛ لأن الأسواق –في تلك الفترة– لم يكن بينها اتحاد أو عُرف يحسم هذه الحيرة المتعلقة بتحديد السعر مقدمًا، مع صعوبة رفع الدعاوى القضائية، لو أن أحدًا خرق الالتزام المتعلق بالموافقة المبدئية على تعاقد يتعلق –على سبيل المثال– بالجودة أو الكمية أو السعر أو التوقيت، بالإضافة إلى الثقافة الأوروبية –آنذاك– لم يكن للوقت قيمة من قبل الأفراد مما جعل الأمر مرتبطًا بسلسلة التجهيزات بين المنتج والمستهلك(١).

تغلب آل زكاريا –أصحاب رأس المال العامل– على هذه المشكلة، فقاموا باتفاق مع التجار قبل شحن الشب إلى الأسواق الغربية، على أن يدفع التاجر نقدًا قيمة التكلفة الخاصة بالمنتج، وعلى الرغم من ذلك يوجد هناك عقود بداخلها تفاصيل تختص بإدارة المغامرة التجارية، ففيها التاجر يمكن له تأجيل بعض المدفوعات بعد أن يدفع الجزء الأكبر نقدًا(٢)، وعليه فإن آل زكاريا كانوا – قبل بداية الرحلة التجارية– يهدفون إلى تحقيق أكبر قدر من الربح باستثمار الحصة كاملة، فهم يعلمون صور البيع المختلفة مع تحديد الثمن وتكلفة النقل، سواءً باستخدام سفنهم الخاصة أو استئجار سفن أخرى، بالإضافة إلى نفقات العمل من لحظة الإنتاج حتى البيع، ممثلةً في رواتب وطعام وإصلاحات وصيانة للسفن، ورسوم جمركية وضرائب في الأسواق وغيرها من المصروفات.

لذا فآل زكاريا كان يحق لهم بيع الشب داخليًا في فوكايا، أو أن يقرروا نقله إلى موقع آخر لتسويقه من هناك، إذا ما وجد في ذلك ربحًا أكثر، والنموذج الشاهد على ذلك كان أجيمورت أو بروج، إلا أن المشكلة ارتبطت إلى حدٍ بعيد بالكوارث –كما أوضحنا– والأسواق؛ لذا كان يصعب التكهن بمقدار الربح المتوقع في أجيمورت وبروج(٣)، ووفقًا لرؤية الباحث فإن هذا الأمر لا ينطبق على آل زكاريا؛ لأنهم امتلكوا في تجارتهم للشب اثنين من الأدوات الأساسية لجعل الأمر أكثر مرونة، ويعطي خياراتٍ أكثر لعملياتهم التجارية، التخزين والقدرة على النقل، فالتخزين يُعد طريقة طبيعية لتحقيق سهولة في التبادل الاقتصادي؛ لأنه يرتكز على سببين، **أولهما:** أهمية المنتج وأوقات استخراجه ومقدار الإنتاج منه، ومن ثم حالة المنتج من الإنتاج إلى الطلب عليه، أي يمكن

---

(1) Le Goff, J., *Un Autre Moyen Age*, 1999, p. 403; Braudel, F., *Civilisation matérielles, économies et Civilisations*, Armand Collin, III Tomes.,1979, Tome II. p. 212.

(٢) وُجد هناك عديدٌ من النماذج التعاقدية التي توضح استلام القادة أو المسئولين لجزءٍ مهم يتعلق برواتبهم قبل المغادرة خارج البلاد، هذا الأمر لم يكن استثنائيًا؛ لأن الغرض منه تلاشي الحاجة بالعودة لبيوتهم أو الالتحاق بسفن أخرى. راجع:–

Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 57.

للمزيد عن عقود التجارة البحرية والبرية. راجع:– حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية، صـ١٢٩–١٣٩.

(3) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 57-58.

تخزينه أم لا. **ثانيًا:** عملية التخزين تخفف من صدمات المنتجين من حالة الأسواق كونها ممتلئة، الأمر الذي يترتب عليه انخفاضًا في الأسعار. أما قدرتهم –آل زكاريا– على النقل، فقد سهلت لهم الإبحار مباشرة إلى أماكن الأسواق، وهناك يقفون على حالة الأسواق إذا ما كانت سيئة بسبب المنافسة أو قد انفضت، فيقومون بالانتقال إلى أسواق أخرى أبعد لبيع الشب هناك[١]، وعليه فقدرتهم على التخزين والنقل –على وجه التحديد– أعطت لهم تسهيلاتٍ عديدة ضمنت لهم إعلاء قيمة الشب، والوصول إلى الأسواق الفقيرة، لتحقيق أعلى المكاسب المادية من التجارة في ذلك المنتج.

هذه الميزة أضافت لآل زكاريا مرونة إضافية وخياراتٍ حقيقية في تجارة الشب، مما دفعهم إلى تطبيق سياسة الاحتكار، إما بالتقليل في عرض المنتج باستخدام التسهيلات التخزينية في عديدٍ من الأماكن، أو استخدام السفن المجهزة والمحمية بالسفن المدرعة، فضلًا عن انتظارهم وعدم التعجل في القيام بالمغامرات التجارية، وفوق هذا وذاك كان لديهم طرق للوصول إلى المعلومات الخاصة بالأسواق، تؤهلهم لاتخاذ القرار المناسب، بشأن كيف ومتى يعرضون سلعهم؟ وهذه النقطة الأخيرة كانت مهمة، فبموجبها يمكن لهم تسيير المغامرة التجارية أو توقفها[٢]، ولعل الأمر الذي ساعد على تميزهم في هذه الأخيرة هي تواجد بنديتو زكاريا لفترة طويلة في الغرب الأوروبي، فكان يعلم جيدًا الظروف السياسية، وكذلك حالة الأسواق وأوقات انعقادها، ومدى تأثرها بالظروف المحيطة، ولعل هذا ما يدفع الباحث إلى القول بأن بنديتو زكاريا ظل هناك يمثل مندوبًا لاستقبال التجارة المرسلة إليه من أخيه مانويل زكاريا من الشرق، حتى وفاة الأخير، الأمر الذي أجبر الأول على العودة إلى فوكايا؛ لتولى الأمر هناك، والعمل على انتاج الشب ومواصلة احتكار تجارته.

ولعل هذا ما دفع أحد المؤرخين إلى القول: "... إن الجنويين لم يتركوا معلوماتٍ مثيرة لمراسلاتهم الخاصة بمعاملاتهم التجارية..."؛ لذا نحن لا نجد شيئًا يخص آل زكاريا، لكن نحن نعرف أنهم كانت لديهم مراسلاتٍ أكثر وأكثر؛ فهم الممولون الرئيسيون للشب بأنواعه من الشرق إلى الغرب وبيعه –كل يوم– إلى تجار آخرين، ونتيجة لاتصالاتهم اللوجستية مع الغرب امتلكوا معلوماتٍ مصيرية حول آخر سعر للبيع والشراء، وعليه كانوا يحددون كمية المخزون منه وتوقيت شحنه ومكان وصوله في المستقبل، وفقًا للمعلومات المصيرية حول الموقف السياسي هناك[٣]، التي ربما ساعدهم في معرفتها كون بنديتو الأول، كان أدميرال ملك فرنسا ويعلم كل شيء عن كونتية فلاندرز ومملكة إنجلترا، وكذلك شامبانى وفوق هذا وذاك مواقيت الأبحار إلى تلك الأماكن،

---

[١] في حالة امتلاك صاحب السلعة لفرصة تخزين سلعته، بالإضافة إلى امتلاكه تسهيلاتٍ في عملية النقل، هنا يمكن له أن يقرر التخلص من مخزونه أو البقاء عليه لنقله إلى مكان آخر. راجع: – Beerst & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 57-58.

[2] Briys & Beerst, The Zaccaria, p. 58.

[3] Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 62.

وكذلك مواسم انعقاد تلك الأسواق، وربما نجح طيلة تلك الفترة في تأسيس ما يشبه وكالة تجارية في كل هذه الأماكن؛ لاستقبال سفنه التى تصل إلى هناك وتعمل على تسويق المنتج.

وإذا ما قمنا بتحليل العقد المنشور –والمشار إليه سلفًا– يتضح لنا أن شب فوكايا كان يُشحن من هناك إلى أجيمورت، ومنها يُنقل إلى بروج، المكان الذي تلقى فيه تجارته رواجًا كبيرًا[١] لارتباطه بصناعة القماش المنتشرة في شمال فرنسا في مقاطعات ليل Lille[٢]، ودواي Dauai [٣] و كمبري Cambri[٤]، وكذلك في الجنوب في نيم Nimes[٥]، أو باريس أو مملكة إنجلترا أو الأراضي المنخفضة، تلك المناطق الصناعية شجعت فتح أسواق جديدة مؤخرًا في إبريس Ypres[٦]، و جارد Gard[٧]، وديسكمود Diskmude[٨]، ترتب عليها تصاعد في المراكز الاقتصادية، لكن تظل بروج السوق الأول في طلب الشب؛ لأنها كانت مجهزة بالأسهم المالية الكبرى، ومما يرجح ذلك وجود إشارات متعلقة بعمليات تجارية للشب في بروج بدايات عام ١١٦٣م[٩]، وفي نهاية نهاية القرن الثالث عشر الميلادي كانت تجارة الشب متواجدة في سبعة أسواق موسمية في مقاطعة شامباني، قبل وجوده محمولًا إلى مراكز القماش، ومنذ عامي ١٢٧٧–١٢٧٨م –على وجه الخصوص– كان أسطول آل زكاريا

---

(1) Delumeau, J., L'Alum de Rome XV^e-XIX^e Siécle, SEVPEN, Ecoles des Hautes Etudes, Paris, 1962, pp.78-90.

(٢) ليل: مدينة فرنسية، تقع على نهر كانليزد ديول Canalized Deule يُوجد بها أشهر متاحف الفن وبها جامعة كبيرة. راجع:
Moore, *The Penguin*, pp. 456-57.

(٣) دواي: مدينة فرنسية، قديمًا Duacum، مدينة صناعية في شمال فرنسا، تقع على نهر سكيربا Scarpe، على بعد ٢٩ كيلو مترًا جنوب ليل، تقع على الطرق المؤدية إلى حقول الفحم، وتشتهر بعديد من الصناعات. راجع:
Moore, *The Penguin*, pp. 231-232.

(٤) كمبري: مدينة فرنسية، وهي Camaracum قديمًا، مدينة صناعية في القسم الشمالي، و ملتقى نهر Escaut بقناة القديس كوانتين St Quentin، تشتهر بصباغة القماش. راجع: Moore, *The Penguin*, p. 144.

(٥) نيم فرنسية، قديمًا Nemausus، ولاية في إقليم الـ Gard، تقع على بعد ١٠٥ كيلو مترات شمال غرب مرسيليا Marseille وهي مدينة تجارية ومركز صناعي، ويشتهر بها الصناعات المتعلقة بالقماش. راجع:
Moore, *The Penguin*, p. 562.

(٦) إبريس: مدينة بلجيكية الآن، وهي تقع في غرب إقليم فلاندرز، تقع على قناة صغيرة على نهر يبيريل Yperlée تابعة لنهر يسر Yser، على بعد ٦٤ كيلو مترًا غرب وجنوب غرب جنت Ghent، وصارت منذ العصور الوسطى من المراكز الصناعية الهامة. راجع:– Moore, *The Penguin*, pp. 876-877.

(٧) جارد جزء من إقليم لانجدوك Languedoc على مصب نهر الرون Rhone إلى الشرق، كمثلث يشبه حرف الدال على خليج لينوس Lions ومساحتها ٥٨٤٨ كيلو مترًا مربعًا. راجع: Moore, *The Penguin*, p. 297.

(٨) لم يستدل الباحث على تعريف لديسكمود.

(9) Liger, De S., L., "Le Commerce de L'alun en Flander, Le Moyen Age", *Revue d'Histoire et de Philologie*, Tome LXI, no. 1-2, pp. 180-181.

يبحر بالشب مباشرة عبر مضيق جبل طارق وسواحل المحيط الأطلنطي، ثم إلى القنال الإنجليزي، وفي بروج كان مساعد التاجر Guild –الخاص بأسواق القماش– يفرض معايير للجودة ويتشدد فيها[١].

وعليه يمكن القول بأن مغامرات آل زكاريا التجارية –الشب بشكل خاص– ارتبطت بالتعاقدات التجارية المتمثلة في عقود المجهزين والوكلاء وعقود البيع للزبائن والعقود التوظيفية للمستخدمين وأخرى عديدة[٢]، غير أن أن هذه العقود رغم ما كانت تدره من عائدات، إلا أنها كانت محفوفة ببعض المخاطر التي استطاعوا التغلب عليها، نظرًا للقيمة العالية للشب وارتفاع سعره، والقدرة على نقله، فضلًا عن المعلومات القادمة عن الأسواق، كل هذا جعل هناك ترابطًا قويًا للقوى التجارية الاحتكارية لأسرة زكاريا[٣]، وعليه يتضح أنهم أداروا مغامراتهم التجارية التجارية بنجاح، وقضوا على الأخطار الداخلية، وعملوا جاهدين على التقليل من المخاطر الخارجية، التي قد تؤثر بالسلب على تجارتهم؛ لذا عملوا على التنوع في توظيف الأموال بأشكال مختلفة، فهم ينقلون الشب من الشرق إلى الغرب، وفي طريق العودة من الأراضي المنخفضة أو موانئ البحر المتوسط الرئيسية، متجهين إلى بيرا أو كافا، فقد كانت السفن تحمل سلعًا أخرى، مما يؤكد على أن تنوع الأصول كان أمرًا ضروريًا، ويمثل معيارًا كبيرًا جدًا في الممارسات التجارية البحرية في العصور الوسطى[٤]، ففي حالتنا كانت أسرة زكاريا تبحر بالشب صاحب السعر الأفضل، ثم بحصيلة البيع تشتري في العودة بعض الأصواف والأقمشة[٥] من بروج أو إبريس، أو أو المنتجات الأعلى من إنجلترا، لبيعها في جنوا أو الشرق الأقصى في كافا أو المستعمرات الجنوية في البحر الأسود.

---

(1) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 50.

(٢) أشارت عديد من المراجع إلى كثيرٍ من النسخ المبدئية للعقود، فعديد منها تقليدية تتعلق بالتبادل الاقتصادي، وفي كثيرٍ من الأحيان استخدم الجنويون هذه الصيغ الخاصة بالتعاقدات –الخاصة بآل زكاريا– كنموذج مع الاحتفاظ لأنفسهم بالقيادة مثلما فعل آل زكاريا. للمزيد عن هذه الصيغ، راجع:–

Byrne, E., *Genoese Shipping in the twelfth and thirteen Centuries*, The Medieval Academy of America, 1915; "commercial contracts of the Genoese in the Syrian trade of the twelfth Century", in: *Quarterly Journal of Economics*, 31, pp. 128-170; Renouard, Y., *Les Hommes d'Affaires Italiens au Moyen Age*, Paris, 1949, pp. 55-57; Sayous, A., "Les transformations Commerciales dans L'Italie Médiévale", in: *Annales d'Histoire Economique et Sociate*, Tome I, 1929, pp. 161-176.

(3) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 62.

(4) Day, J., Les Monnaies, pp. 54-55.

(5) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 62.

كانت التجهيزات التسويقية للشب أمرًا غاية في الأهمية بالنسبة للتاجر العادي؛ لأن قدرة شحن السفن كانت قضية مهمة جدًا؛ فقد كان من السوء أن يدفع التاجر مصاريف النقل لمغامرة واحدة، تعود بغاية مفرغة؛ لذا بدأ التجار الجنويون –مع نهايات القرن الثالث عشر الميلادي– في الذهاب إلى الأراضي المنخفضة متحمسين لجلب أفضل البضائع؛ لتكون متبادلة في الأسواق الإيطالية أو الشرقية، وكان أهمها القماش. راجع:– Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 52-53.

لم تكتف أسرة زكاريا بذلك، لحماية تجارة الشب والسلع الأخرى، فاستخدموا الكرافانات Caravan أو Convoy للحماية من مخاطر سقوط الأمطار، فقد امتلكوا أو اشتركوا في أسطول قوي –عديد من العقود توضح ذلك– من أجل المغامرات التجارية الطويلة، فاثنتين أو أكثر من السفن كانت ترحل معًا فيما يتعلق بالرحلة التجارية مشحونة بالشب إلى أسواق غرب وشمال غرب أوروبا(١)، ومن هذا وذاك يتضح أن أسرة زكاريا أدارت المخاطر التجارية بحرفية ناتجة عن خبراتٍ تجارية وملاحية، فوضعت لها حلولًا –سواء بالتخزين أو النقل– فهم كانوا قادرين على التمويل لتغطية تكلفة التخزين أو النقل، فضلًا عن التغلب على مصاعب الإبحار حتى الوصول إلى أسواق شمال غرب أوروبا بابتكاراتٍ تكاد تكون من اختراعهم، مثلما كان بنديتو رجل البحر الأول، الذي وصل إلى إنجلترا وفلاندرز عبر جبل طارق وسواحل الأطلنطي.

ومما يرجح ذلك قول أحد المؤرخين بأن أسرة زكاريا أدارت أفضل العمليات التجارية من خلال الخيارات المالية، ونجحت في تصميم نموذج تجاري يُعرف باسم Adhoc قائم على التمويل والنقل، مع بعض الخيارات فيما يتعلق بتخزين ونقل الشب إلى الأسواق الغربية(٢)، وعليه أبحرت شاحناتٍ من السفن مباشرةً من الشرق إلى مملكة إنجلترا وبروج فيما بين عامي ١٢٧٧–١٢٧٨م عبر مضيق جبل طارق تحت قيادة بحرية رئيسية لبنديتو الأول زكاريا(٣) تحمل ١٢٩٧ قنطارًا من الشب(٤)، مما يرجح نجاح آل زكاريا في إدارة العمليات التجارية، وبخاصة تجارة الشب التي وصلوا بها إلى أبعد نقطة تجارية، مستخدمين في ذلك مهارتهم التجارية والملاحية، وقدرتهم على صياغة العقود التي تحمي مصالحهم التجارية، وتعطي لهم الأفضلية، وتؤكد على قدرتهم في النهوض بفوكايا، وانتاجها من الشب خصوصًا حينما تتعرض لهجمات من الخارج.

هذا الأمر يؤكده قيام بنديتو الاول زكاريا ببيع ٦٥٠ قنطارًا من الشب بسعر ١٥٠٠٠٠٠ ليرة فى عام ١٢٩٨م(٥)، وتوضحه صيغة العقد المؤرخ بعام ١٢٩٨م(٦) والذي يتضح منه عدة حقائق أهمها أن الأخوين آل زكاريا مانويل وبنديتو كانا مالكين للشب أو وكيلهما وهو الشخص الحقيقي الذي سوف ينقل الشب إلى أجيمورت في التاريخ المحدد، فضلًا عن أن هذا يضمن لهم عدة خيارات، أهمها: أحقيتهم في إنهاء العقد لو أن المبلغ

---

(1) Balard, *La Romanie*, Tome II, p. 581.

(2) Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, p. 65.

(3) *Les Relations Commerciales*, Vol. 3, nos. 1356-1367; Lopez, Majorcans and Genoese, p. 1176.

هناك واحدة من القصص تروج أن أول أسرة جنوية وصلت إلى بروج وجنت Chent كانت أسرة Adornes، وذلك عام ١٣٤٠م تقريبًا. راجع أول ذكر لهذا الأمر في: Geirnaert, N., Het Archef Van de Familie Adornes en Van de Jeruzalemsti chating, II Tomes., Bruges, 1989,Tome I, p. 213.

(4) Balard, *La Romanie*, Tome II, p. 777.

(٥) هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢، صـ١٢٢.

وإن كان قيمة السعر فيها مبالغة إلا أنها تعطى صورة لقيمة وأهمية الشب فى تراكم ثروة آل زكاريا.

(6) Les Relations Commerciales, Vol. 3, no. 1530.

المتفق عليه لا يساوي الكمية ومعايير الجودة. ثانيًا: لهم الحق في تأجير الوكلاء لإدارة المغامرة التجارية. ثالثًا: لهم الحق في إرجاء تسليم الشب في أجيمورت إلى ما بعد التاريخ المحدد بمايو ١٢٩٩م. رابعًا: لهم الحق في المطالبة بالمبلغ المتفق عليه كاملًا في حالة حدوث تعثر بين أجيمورت وبروج. خامسًا: لهم الحق في تفريغ حمولة الشب في موقع آخر غير بروج، وليكن بيكاردي Picardy[١] أو نورماندي[٢]. سادسًا: حرية شراء منتجات أخرى في طريق العودة[٣]. ونخلص من هذه الخيارات أن سياسة آل زكاريا التعاقدية هدفت إلى المحافظة على حقوقهم التجارية، وتحقيق أكبر فائدة ممكنة من خلال هذا التعاقد، الأمر الذي يؤكد على قوة سلعة الشب في التجارة الدولية آنذاك، وكذلك حرص آل زكاريا على التمكين لأسرتهم والحفاظ على مستقبلهم التجاري في حوض البحر المتوسط.

ووفقًا للعقد المنشور نستطيع حساب رحلة واحدة في اتجاه واحد من أجيمورت إلى بروج، فآل زكاريا يبيعون الشب إلى شخصين ذُكر اسماهما في العقد Grillo و Suppa، فعلى فرضية أن القنطار يساوي عشرة ليرات، وهم أعطوهم عشرة قناطير أي بمائة ليرة، في الوقت نفسه –وفقًا للعقد– حق لآل زكاريا حرية اختيار شراء الشب في بروج، بسعر متفق عليه سلفًا يقدر بمائة وعشرين ليرة في حالة وصول الشحنة بأمان دون حدوث كوارث، ومع حقهم في العودة بسلع أخرى يستطيع آل زكاريا العودة بسلع بقيمة الشب المباع، وفي هذه الحالة يستطيعون تجاوز مشكلة السعر مائة وعشرين ليرة[٤]، فضلًا عن امتلاكهم لنفقات النقل في سفنهم، والتي تمثل حوالي الثلث أو أكثر قليلًا، أما الربح فهو محسوب في الأساس وفقًا لكل قنطار، فوفقًا لعقد بين جنوا وبروج عُقد في القرن الثالث عشر الميلادي، يمكن تقدير تكلفة النقل بواحد وعشرين صولديًا حتى بروج ذهابًا فقط، اثنين وأربعين صولديًا ذهابًا وعودة، أو ما قيمته ليرتان. في الوقت نفسه كان سعر الشب في جنوا يقرب من خمسين صولديًا لكل كيس في عام ١٢٩٧م؛ فبعملية حسابية يمكن التوصل إلى: (٤٢ صولدي التكلفة ذهابًا وعودة × ٦٥٠ قنطارًا) + (٥٠ صولدي سعر الشب × ٦٥٠ قنطارًا)

$$\frac{٢٧,٣٠٠}{٢٠ \text{ صولدي } (١ \text{ ليرة})} + \frac{٣٢,٥٠٠}{٢٠ \text{ صولدي } (١ \text{ ليرة})} = ١٣٦٥ + ١٦٢٥ = ٢٩٠٠ \text{ أى مايقرب من } ٣٠٠٠ \text{ ليرة}$$

[١] بيكاردى مدينة فرنسية، إقليم وسابقا مقاطعة فى الشمال، والآن تشكل جزءًا من Pas-de-Calais. راجع:-

Moore, *The Penguin*, p. 615.

[٢] نورماندى: تقع غرب القارة الأوروبية، يفصلها عن مملكة إنجلترا القنال الإنجليزى ويحدها من الشمال دوقية فلاندرز، ومن الشرق السلطة الملكية الفرنسية The Royal domain ، ومن الجنوب الشرقى أورليان Orleans وشامبانى ومن الجنوب مينMaine والجنوب الغربى أنجو Anjou ومن الغرب بريتانىBrittany. راجع:-

Haskins, C.H., The Normans in European History,Cambridge,1915,p.61.

[3] Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp.79, 82.

[4] Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 82-83, 89.

وهذا يكون سعر الشب في أجيمورت مضافًا إليه تكلفة النقل، وعلى ما يبدو أنه في القرن الثالث عشر أصبحت تكلفة النقل تتضمن الضرائب البحرية[١]، وعلى الرغم من عدم وجود أدلة على أسعار الشب في بروج، إلا أنه يمكن تقدير نسب الأرباح في رحلة تجارية بين جنوا وبروج محملة بالشب وعائدة بالأقمشة، قد تصل الأرباح إلى ٧,٥% لرحلة واحدة فقط إلى هناك[٢].

وإذا ما نظرنا بدقة إلى الاختلاف في سعر العملة الخاصة بالأرباح ومعرفة آل زكاريا بسعر سوق الشب، وامتلاكهم لسفن النقل، يمكن القول بأن سعر الشب كان ثابتًا تمامًا، لكن التواريخ كانت غامضة؛ لذا فضَّل آل زكاريا الاعتماد بشكلٍ كبير على تأجير السفن، عوضًا عن العودة بمشترياتٍ من بروج؛ لأن العودة بمشتريات كانت خيارًا ربما لا يعود بفائدة مادية تعادل ما يكتسبونه من إيجار السفن، وبيع كميات كبيرة من مخزون الشب لديهم، خصوصًا إذا ما أدركنا احتمالية بقاء بنديتو زكاريا –في تلك الفترة– في الغرب الأوروبي للقيام بأدوار سياسية لصالح بعض الحكام هناك، فضلًا عن فتح أسواق جديدة للشب، وتسهيل الصعوبات التي تواجه تلك التجارة هناك حتى بدايات القرن الرابع عشر الميلادي.

ومما يرجح بقاءه هناك وقيامه بتسهيل العمليات التجارية الخاصة بالشب، هو أنه كان في فرنسا، عندما تعرضت فوكايا –مصدر الشب– لهجمات البنادقة، وقيام الأدميرالاي ريجيرو مورسيني Ruggiero Morosini – المعروف بمخالب الشر The Evil Claw والملقب بمالابرانكا Malabranca – بمهاجمة فوكايا، والاستيلاء على القدور الضخمة التي كانت تستخدم لتجهيز الشب ثم رحل[٣]، ولكن بمجرد عودته قام بسرعة فائقة بترميم الجدران الخاصة بالمدينة، واعتنى بمناجم الشب فيها أكثر من أي وقتٍ مضى[٤]، خصوصًا أن تجارة الشب في آسيا الصغرى أصبحت مهمة جدًا، خاصةً بعدما فرضت البابوية الحظر التجاري على مصر وبلاد الشام بعد

---

[١] كان هناك ضريبة منتظمة على الشب أُعتُرف بها قانونيًا، بلغت ما بين ٢ إلى ٢,٥% في حوض البحر المتوسط منذ العصر الروماني، وظهرت جلية في معاهدة بين السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى والبندقية مؤرخة بعام ١٢٢٠م بنسبة ٢%، وتكررت في معاهدات أخرى ١٤٠٣، ١٤٢٩م، حتى أن السلطان العثماني تمسك بقيمتها ٢% ولم يعف منها أي طائفة تجارية. راجع:

Aygün, The Flesh eating, pp. 176-177.

[2] Lopez, Benedetto Zaccaria, p. 182; Briys & Beerst, The Zaccaria Deal, pp. 92-94.

على الرغم من أن لوبيز كان أول من أشار إلى إمكانية شراء السلع في العودة، إلا أنه اعتقد أن سعر الشب كان ٣٠٠٠ ليرة، متغافلًا تكلفة النقل الخاص بالعمليات التجارية، في الوقت الذي حاول كثير من المهتمين معالجة خيار الشراء في العودة كونه فعليًا. والنموذج الذي عُرض يرجح ذلك. راجع:– Lopez, The Trade of Medival Europe, pp. 377-378.

Bioteux, L., "La Fortune de Mer Le besoin de Sécurité et Les débuts de L'assurance maritime", ***SEVPEN***, *Ecoles des Hautes Etudes*, Paris, 1968, pp. 66-68.

[3] Miller, The Zaccaria, pp. 44-45; Nicol, *Byzantium and Venice*, pp. 217-218.

[4] Miller, The Zaccaria, p. 45; Saĝlam, *Urban Palimpsest*, p. 205.

عام ١٢٩١م[١]؛ لذا ما لبث بنديتو الأول في عام ١٣٠٢م أن أعطى لابن عمه تديزيو الإشراف على فوكايا كتابع له[٢]، ولعل لهذا العمل أسبابًا، أهمها ضعف الإدارة البيزنطية من قِبل الإمبراطور الذى يمثل عصره اضمحلال الإمبراطورية، ومما يدلل على ذلك اجماع المؤرخين على أن ميزانية الإمبراطورية فى عهده، بلغت حوالى مليون هيبربيرا، وكذلك تعرض أملاك الإمبراطورية لهجمات من قِبل القراصنة، وانشغال بنديتو الأول نفسه بمشروع الحصول على خيوس، كإقطاع من الإمبراطور البيزنطي؛ لتحقيق أهداف سياسية وتجارية تتوافق مع طموحات آل زكاريا بحجة الدفاع عنها ضد هجمات الأتراك.

ومما يدل على ذلك، تعرض أملاك الإمبراطورية ومن بينها فوكايا لهجمات القراصنة منذ عام ١٢٩٢ حتى عام ١٣٠٣م من قِبل قوات روجر دى ليورا Roger de Liuria، والفرقة القطلانية تحت قيادة روجر دى فلور Roger de Flor – الذي امتلك مدمرة تُسمى موتيليني Mytilene– المدمر الأشهر لغابات المصطكى في خيوس[٣]، وفوق هذا وذاك تقدم الأتراك المستمر وانتشارهم في البحار على الدوام، مما يبشر بأنهم سيسودون جزر الأرخبيل، أو على الأقل يسيطرون على الجزر المجاورة لآسيا الصغري مثل خيوس، وعندها ستجد فوكايا نفسها منقطعة عن العالم الغربى، ويصبح من المستحيل أن تُرسل منها سفن مشحونة بالشب، ولم يعد فى مقدور التجار الذين اعتادوا القدوم إليها لشراء الشب، أو أن يصلوا إليها دون التعرض لأكبر المخاطر[٤]، وعليه أسرع بنديتو الأول بتقديم مشروعه للإمبراطور، موضحًا له أن يتخذ الإجرات الكفيلة لحماية فوكايا، اللهم ما إلا إذا فضل أن يترك له القيام بهذه المهمة؛ لذا تسلم الإمبراطور إقتراح بنديتو الأول بترحاب، لانشغاله بمواجهة الأتراك الذين كانوا يحيطون بالإمبراطورية من كل جانب؛ لذا وافق على إعطاء بنديتو الجزيرة كإقطاع لمدة عشر سنوات، مصحوبًا بإعفاء من الضرائب، وتعهد بنديتو بإعادتها إلى الإمبراطور بانتهاء عقد الإيجار[٥]، ولخيوس

---

(1) Jacoby, D., "Cretae Venezia nel contesto Economico del Mediterraneo Orientale sino alla meta del Quattrocento", in: Gherardo Ortalli (ed.), *Venezia e Creta: atti del Convegno internazionale di studi*, Venice, 1998, pp. 95-99; Jacoby, D., "Production et Commerce de L'alun Oriental en Méditerranée, XI^{e}-XV^{e} Siécles", in: Borgard, Bvun and Picon (eds.), *L'alun de Méditerranée*, pp. 219-67, at p. 241.

(2) Laiou, A. E., Constantinople and and The Latins: the foreign policy of Andronicus II, 1882-1328, Harvard University Press, 1972, p.153; Wright, C., *The Gattilusio Lordships and the Aegean World 1355-1462*, Leiden, Boston, 2014, pp. 34-37.

(3) Pachymérés, Relations Historiques, Tome IV, Liv. XII, nos. 22-25, pp. 570-578.

(٤)هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢، صـ١٢٣.

عن دور آل زكاريا ضد الأتراك راجع:- Carr, M., *Motivations and Response to Crusades in the Aegean: c.1300-1350*, PhD Dissertation, Royal Holloway, University of London, 2011, pp.76-104.

(5) Kantakouzenos, J., Ioannis Cantacuzeni eximperatoris Historiarum Libri IV, ed. Ludwing, S., and Barthold, G. N., 3 Vols. Bonn, 1828-1832, Vol. I, pp. 370-371, bk2, ch. (10).

أهمية كبيرة[١]، ترتكز على عدة جوانب، ما يخص فوكايا منها، أنها: أولًا: تقع على مفترق طرق الشحن الممتدة من القسطنطينية وفماجوستا Famagusta[٢]، ثانيًا: كانت قريبة من فوكايا، مما يعني أنها توفر الحماية البحرية للمستعمرات، وتصبح مستودعًا مهمًا للشب، حيث يُخزن بها حتى نقله إلى شمال أوروبا[٣]، وأي مكانٍ آخر من العالم.

ومما يرجح هذه الأهمية قول بعض المؤرخين: "...إن شروط التنازل الاختياري من الإمبراطور عن خيوس كان معدًا ليكون مؤقتًا من أجل دفاعات فوكايا، وبشكل أوضح لأهداف اقتصادية وليست عسكرية..."، فهي لا توفر الحماية لمناجم الشب الخاصة ببنديتو في فوكايا فقط ، فهي واحدة من المواقع القليلة في العالم المتاحة تجاريًا داخليًا وخارجيًا[٤]، ومما يؤكد على أهمية خيوس قول أحد المؤرخين: "...إن السفن الجنوية قدمت شحناتٍ كبيرة من الشب من فوكايا وخيوس إلى أسواق الفلاندرز..."[٥]، وقوله: "...شهدت خيوس تحت حكم آل زكاريا ١٣٠٤-١٣٢٩م تطورًا كبيرًا في تجارة المصطكى والشب، واكتسب الشب أهمية كبيرة..." [٦]، وفوق هذا

ليس من الواضح تمامًا كيف أصبح بنديتو الأول حاكمًا لخيوس، فهناك من يقول إنه فاز بها ببراعته الخاصة، وآخرون يقولون إنه حصل عليها كمهر، حينما تزوج من ابنة الإمبراطور، وثالثة أنه وضع يده عليها عندما تأخر الإمبراطور عليه فى الرد، فبادر بنفسه دون انتظار واستولى عليها، ولم يكن فى مقدور الإمبراطور أن يطرده منها، فعهد إليه بحكمها مستخدما إيراداتها فى أعمال الدفاع عنها. للمزيد حول هذه الآراء. راجع:- هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢، صـ١٢٣؛

Theodore, N., The Lord of Chios, p. 468; Zachariadou, Trade and Crusade, p. 8, n. (24).

[١] عن هذه الأهمية، راجع: محمد إبراهيم خلف، تجارة المصطكى، صـ١٢٩.

[2] Balard, M., "Latins in the Aegean and the Balkans (1300-1400)", in: Jonathan, Sh. (ed.), *The Cambridge History of the Byzantine Empire, 500-1492*, Cambridge, 2008, p. 850.

[3] Hunt, E. S., *A History of Business in Medieval Europe, 1200-1550*, Cambridge University Press, 1999, p. 183.

[4] Argent, Ph. P. (ed.), *The Occupation of Chios by the Genoese and their Administration of the Island 1346-1566, Describes in Contemporary Documents and official Dispatches*, 3 Vols., Cambridge, 1958, Vol. I, pp. 477-478; Becker, Life and Local Administration, pp. 86-92;

عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية، صـ٢٨١.

[5] Balard, Latins in the Aegean, p. 832.

[6] Balard, Latins in the Aegean, p. 835.

كان من الصعب تحديد التاريخ الدقيق الذي أصبح فيه آل زكاريا آسيادًا لخيوس، حيث توفر المصادر معلوماتٍ متضاربة، فهناك من قال بالتاريخ التقليدي ١٣٠٤م، بتسليط الضوء على التناقض في حسابات الإمبراطور في تلك الفترة الغامضة، وهناك من أعطى التاريخ ١٣٠٥م معتمدًا على سفارة من قِبل آل زكاريا للإمبراطور أندرونيق الثاني Andronikos II (١٢٨٢-١٣٢٨) يطلبون فيها خيوس، وهناك من يقول بعام ١٣٠٩م، وهذا التاريخ يوجد به دلائل واضحة على قيام الأسرة بتصدير المصطكى من الجزيرة، وإذا كان بنديتو أول حاكم للجزيرة كما يدعى زكيريدو Zachariadou، يمكن تفسير هذا التاريخ وفقًا لحسابات رامون مونتانر Ramon Muntaner الذي قال: "...إن بنديتو توفي قبل أسر تديزيو زكاريا حاكم فوكايا ١٣٠٧م..."، فإذا ما كان صحيحًا، فعندئذ ربما شارك بنديتو الأول مانويل الحكم، وأن سيطرتهم على الجزيرة تقع ما بين يوليو ١٣٠٥م، وما قبل ١٣٠٧م. راجع مناقشة ذلك في:

وذاك ما كتبه أحد المهتمين بتاريخ التجارة أن أسرة زكاريا استغلت مناجم الشب في فوكايا والمصطكي في خيوس واحتكرت تجارتهما، وهما من أثمن وأندر محاصيل هذه المناطق[١] وكما هو معروف لم تكن خيوس يومًا ما منتجة للشب، فالشب كان يُنتج في فوكايا ويُخزن في خيوس، ثم يُشحن من هناك إلى أسواق العالم المختلفة شرقًا وغربًا تحت سيادة آل زكاريا.

أما عن فوكايا، فقد صارت إلى تيدزيو ١٣٠٢م حتى وفاة بنديتو زكاريا الأول ١٣٠٧م، الذي ورثه ابنه باليولوجس في خيوس[٢]، أما فوكايا فقد ذهبت إلى أخيه نيكولن –هذا التقسيم لأملاك الأسرة أفضى إلى صعوبات كثيرة– ، فبعد وصول نيكولن إلى هناك طلب تقريرًا مفصلًا عن أرباح إدارة ابن عمه تيدزيو للمدينة[٣]، الأمر الذي لم يتقبله الأخير، فقدم إليه أرقامًا لم يعترف بها نيكولن؛ لذا ما لبث أن انسحب مهددًا بالعودة بجيش كبير لإخراج تيدزيو من فوكايا، وتعيين آخر بدلًا منه يُسمى أندريولو كاتانيو ديلا فولتا – قريب الأسرة بالمصاهرة بعد زواجه من أخت باليولوجس وابنة بنديتو الأول زكاريا إيلينا Eliana– وظل على ولائه لأسرة زكاريا في خيوس[٤]، حتى أننا نجد اسم أسرة ديل فولتا كمصدرين للشب في مدينة بروج في عام ١٣١١م[٥]، مما دفع تيدزيو إلى تسليم نفسه إلى الفرق القطالونية التي كانت في جاليبولي Gallipoli[٦] متوسلًا إلى المؤرخ مونتانر لتجنيده في صفوفهم، وما لبث أن أقنع القطالونيين بكنوز فوكايا مدينة الشب، التي قيل عنها: "إنها

Carr, M., "Trade or Crusade? The Zaccaria of Chios and Crusades against the Turks", in: Nikolaos, G. Ch. And Mike Carr (eds.), *Contact and Conflict in Frankish Greece and the Aegean, 1204-1453, Crusade, Religion, and Trade between Latins, Greeks and Turks*, pp. 118-119, (not. 18).

[١] هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢، صـ١٢٣.

[٢] يذكر المؤرخ ميخائيل كير أن باليولوجس زكاريا ورث خيوس عن أبيه وحكمها مشاركة مع عمه مانويل زكاريا حتى وفاة الأخير في ١٣٠٩ أو ١٣١٠م. راجع:– Carr, Trade or Crusade, p.120.

[٣] المعالجة الأفضل المتعلقة بالتعقيدات الخاصة بشجرة العائلة لآل زكاريا جاءت من خلال الدراسة المتميزة المعنونة بـ

Mazarkis, M.,"A Martinello of Manuele and Paleologo Zaccaria (1307-1310)", trans, Marion, J. Tzamali, *Nomismatika Chronika*, 18, 1999, pp. 111-118.

[4] Mazarkis, A Martinello, pp. 116-117.

أما جزيرة خيوس فقد أصبحت مشتركة ما بين باليولوجس وابنه بنديتو الثاني Benedetto II حتى وفاة الأول ١٣١٤م، ثم أصبحت فيما بعد بين بنديتو الثاني وأخيه الأصغر مارتينو Martino حتى بدايات عام ١٣٢٠م، عندما تغلبت قوات مارتينو على قوات أخيه، وحكم الجزيرة منفردًا حتى استعادها الإمبراطور البيزنطي ١٣٢٩م. راجع:–

Mazarakis, A., some thoughs on the Chios, p. 320.

[5] *Les Relations Commerciales*, Vol. 3, no. 1723; Argenti, *The Occupation of Chios*, Vol. 1, p. 57; Heers, Les Genois, p. 31-53

[٦] جاليبولى، شبه جزيرة تركية تمتد بطول ٨٨ كيلو متر فيمابين الدردانيل Dardanelles جنوباً، وخليج ساروث Saros شمالاً، أما عن المدينة فهى ميناء فى إقليم Canakkala على مضيق الدردانيل فى بحر مرمرة Marmara. راجع:–

Moore, *The Penguin*, p.296.

تحتوي على أغنى كنوز العالم"، في الوقت نفسه تلاقت المصالح؛ لأن القطالونيين كانوا دائمًا مستعدين للنهب؛ لذا ما لبثوا أن وصلوا إلى فوكايا في ليلة عيد القيامة ١٣٠٧م، ومع مطلع فجرها تسلق المهاجمون الجدران الخاصة بالقلعة، وطردوا سكانها الذين بلغوا أكثر من ثلاثة آلاف يوناني يعملون في مناجم الشب[١].

وعلى ما يبدو أن أسرة زكاريا استطاعت التصدي لهجمات القطلان بقيادة حكيمة من باليولوجس في خيوس ونيكولن وتابعه في فوكايا أندرورل كاتينو ديل فولتا، وصارت فوكايا باقية تحت سيادة آل زكاريا حتى وفاة باليولوجس في خيوس، بعدما نجح في تمديد عقد خيوس لخمس سنوات أخرى على الشروط نفسها مع الإمبراطور[٢]، في العام نفسه مات نيكولن سيد فوكايا والوريث القادم لأسرة زكاريا دون وريث ذكر، فانفرد أنديولو كاتانيو ديللا فولتا بفوكايا بشكلٍ مباشر، ليصبح تابعًا للإمبراطور البيزنطي، لتنتهي بذلك سيادة آل زكاريا عليها في عام ١٣١٤م[٣]، وعلى ما يبدو أن انشغال بنديتو الثاني ومارتينو بحكمهما لخيوس والخوف عليها من الضياع بعدما نجح والدهما في كسب خمس سنوات أخرى قبل وفاته، أو صراعهم معاً للانفراد بحكم الجزيرة، وكذلك اشتهار الجزيرة بالمصطكى دفعهم إلى غض الطرف عما يحدث في فوكايا أو ربما كان هناك اتفاق بين وريثي باليولوجس وعمهما قبل وفاته –نيكولن– على أن يحتفظا هما بخيوس، ويحتفظ هو وورثته بفوكايا، وعليه يبقى على الساحة من أسرة زكاريا كحكام لخيوس كلٌ من بنديتو الثاني وأخيه مارتينو زكاريا، الذين ربما حصدا مجد الأسرة التجاري والسياسي والعسكري.

أما ما يتعلق **بالتداعيات** المترتبة على احتكار آل زكاريا لتجارة الشب، تتضح جليًا إذا ما علمنا أن موقف عائلة زكاريا في بحر إيجة كان متناقضًا، فمن ناحية يغلب عليهم جانب المصالح التجارية الشخصية، في الوقت نفسه اعتبروا أنفسهم مدافعين عن الإيمان المسيحي ضد المسلمين سواء سلطنة المماليك أو الأتراك العثمانيين، في الوقت ذاته احتاجوا إلى الاتصال السلمي مع بعض القوى الإسلامية من أجل الحفاظ على مصالحهم التجارية الخاصة في الشرق، وعليه فإن حكم آل زكاريا لفوكايا أبرز للباحث فكرة مثيرة لإبراز

---

(1) Laiou, Constantinople, p. 153, not. (83).

قيل إن الغنيمة كانت ضخمة، ولكن أهمها كانت قطعة من الصليب الحقيقي مرصع بالذهب والمجوهرات النفيسة، هذا الأثر المقدس قيل إنه تم شراؤه من قِبل القديس يوحنا St. John –أحد مؤلفي الأناجيل الأربعة– في أفسوس Ephesus، وهذه القطعة اشتهرت باسم صليب أسرة زكاريا، وعاد هذا الصليب إلى جنوا في عام ١٤٦٦م، ويُعرض الآن في كاتدرائية القديس لورنزو San Lorenzo راجع:– Miller, The Zaccaria, p. 46;

Ross, M.C., *Metalwork, Ceramics, Glass, Glyptics, Painting*, Dumberton Oaks,Washington D.C., 1962, p.28.

(2) Argenti, The Occupation of Chios, Vol. I, pp. 56-57; Balard, La Romanie, Tome I, pp. 120-121.

(3) Argenti, The Occupation of Chios, Vol. I, p. 57.

ظل أندريولو حاكماً لفوكايا كتابع للإمبراطور البيزنطي من ١٣١٤–١٣٣١م، وبوفاته انتقلت سيادتها إلى ابنه دومينيكو Domenico (١٣٣١–١٣٣٦م). راجع:– هايد، تاريخ التجارة في الشرق، جـ٢، صـ ١٢٢.

الاهتمامات والأولويات، وإبراز التناقض فيما بين الأولويات الروحية والتجارية لعائلة من عائلات العصور الوسطى، تعمل على هامش المسيحية الكاثوليكية في منطقة تتنازعها القوى المتعددة من يونانيين وأتراك ولاتين بقوةٍ على حدٍ سواء.

ونادرًا ما اكتشف مؤرخو الحروب الصليبية نشاط أسرة زكاريا التجاري في بحر إيجة؛ لمواقفهم المتناقضة ما بين التواصل والصراع مع القوى الإسلامية، فعلى سبيل المثال اعتُبرت دوافع التجار الإيطاليين –فترة الحروب الصليبية– مقصورة على الجشع والسخرية، لذا تم تجاهل دورهم المحوري في السنوات الأخيرة من تاريخ الحروب الصليبية[١]، وعليه فقد ركزت الدراسات المتخصصة في التجارة في العصور الوسطى –مؤخرًا– على دور الأسر التجارية في بحر إيجة والأدرياتيكي والأيوني والمتوسط شرقه وغربه، ومن بين هذه الأسر كانت أسرة زكاريا –كما أوضحنا سلفًا– مرتكزة في الغالب على الأدوار التجارية.

ومثلما أوضحنا احتكار أسرة زكاريا لتجارة الشب في الربع الأخير من القرن الثالث –ومن قبلهم الجنوية للتجارة نفسها في قونية– وما ترتب عليها من كسب ورخاء كبير للأخوين مانويل وبنديتو الأول زكاريا من تصدير هذا المنتج إلى شمال أوروبا وغربها، في الوقت نفسه اشتهر الأخوان زكاريا – أيضًا– بمآثرهما وجرأتهما البحرية ضد سلطنة المماليك، ففي عام ١٢٨٨م ساعد بنديتو الأول في إجلاء مواطني طرابلس من الصليبيين إلى قبرص Cyprus قبل الاستيلاء عليها من قِبل المماليك بعد ذلك بعام[٢]، وفي العام التالي استولى بنديتو الأول بالتعاون مع قنصل كافا باولينو دور Paolino Doria على سفينة تابعة للسلطان المملوكي بالقرب من ساحل آسيا الصغرى محملة بالسكر والفلفل والكتان[٣] ثم في عام ١٢٩٣م تم تعيين مانويل زكاريا على أسطول من قِبل البابا نيقولا الرابع Nicholas IV (١٢٨٨–١٢٩٢م) [٤]، هذا الأسطول الذي هاجم الإسكندرية وكذلك كانديلور Candelore على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى– كما أشرنا سلفًا– [٥] ونتيجة للثروة الطائلة التى اكتسبها

---

(1) Carr, Trade or Crusade, p. 115.

(2) Musarra, A.," Benedetto Zaccaria e al caduta di Tripoli (1289): le difesa di Outremer traragioni ideali e opportunism", in ed. A. Musarra, *Gli Annali e la Terrasanta.* Atti del Seminario di Studio (Firenze, 22 febbraio 2013),. SISMEL - Edizioni del Galluzzo, 2014, pp. 219-237; Lopez, Benedetto Zaccaria, pp. 131-160; Carr, Trade or Crusade, pp. 116-118.

(٣)هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، جـ٢، صـ١٠٢.

(٤)البابا نيقولا الرابع، هو جيرالو ماسكا Giralomo Masci، كان رئيسًا لكرادلة بلاسترينا Palestrina، وكان مبعوث البابا إلى الشرق وإلى بطريك القسطنطينية، وانتخب بعد مداولات استمرت أحد عشر شهرًا، وكان أول فرنسيسكاني يُختار لمنصب البابا، وكان قد سكن خارج روما، وهو الذي توج شارل الثاني (الأعرج) دى أنجو ملكًا على نابولي Naples عام ١٢٨٨م، وأسس جامعتى مونبيليه Montbeliar ولشبونة Lisbona. لمزيد من التفاصيل، ينظر :

Kelly. J. N.O., *The Oxford Dictionary of Popes*, Oxford, 1996, pp.205 –206; Kuhner ,H., *Encylopedia of the Papacy* , London , 1959 , p. 98..

(٥) للمزيد عن هذه الأحداث، راجع:

بنديتو الأول زكاريا نجده يكرسها لتنفيذ مشروعه المفضل ألا وهو استعادة الكيان الصليبي، ومن أجل ذلك طلب من أتباعه المعونة، فجأت له من سيدات جنوا- المحبات للأعمال الخيرية – مدفوعات من البابا بونيفياس الثامن[١] الذى نعت بنديتو بالصديق الحميم – كما أشرنا سلفاً- إلا أن هذه الحملة الصليبية الجديدة أصبحت هى والعدم سواء، غير أنها جلبت له ولأسرته الشهرة فحصلوا على مكاسب كثيرة[٢].

أبدى كلٌ من مانويل وبنديتو الأول زكاريا نشاطًا عظيمًا ودورًا بارزًا من فوكايا فى مواجهة ثلة من القراصنة المحترفين تقاطروا من كل الأنحاء مستغلين الفوضى الشاملة، فراحوا – آل زكاريا- يقتلون وينهبون بلا تميز كل ما تصل إليه أيديهم، وذلك من أجل مصلحة تجارتهم في الشب؛ لتطهير البحار من اللصوص الذين يعثون فيها فساداً[٣]، فى الوقت الذي لم يتحمل فيه الإمبراطور البيزنطي مسئولية القضاء على أعمال القرصنة؛ لما تعانيه إمبراطوريته من أخطار خارجية، فضلاً عن تركه البحرية البيزنطية تضعف حتى أصبح رعاياه أنفسهم عرضة لهجمات هؤلاء القراصنة، والأمر يماثل تركه الإشراف على التجارة، وعبورها للمدن التجارية الإيطالية نظير رسوم ضيئلة حتى صار الجنويون يعتبرون البحر الأسود بحيرة جنوية.

وعلى ما يبدو أن مارتينو زكاريا ارتكن على أخيه بنديتو الثاني في إدارة خيوس، وبدأ رويدًا رويدًا يبني قوته، ويبذل مجهودًا لإبعاد نفسه عن السيد الإقطاعي الإمبراطور البيزنطي، وذلك بتكوين روابط أقوى مع القوى اللاتينية في المنطقة، جعلته يتميز بالشجاعة فى صراعه مع الأتراك، ونجاحاته أكسبته مركزًا كبيرًا جعلته حامى المسافرين الغربين، الأمر الذى دفع فيليب أف تارانتو Philip of Taranto[٤] المطالب بالعرش اللاتينى

Richard, J.,"Le Royaume de Chypre et L'embargo sur Le Commerce avec l'Egypte (Fin XIII^{e}-debut XIV^{e} Siécle", in: *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 1984, p.123; Schein, S., *Fideles Crucis: The Papacy, the West, and the Recovery of the Holy Land 1274-1314*, Oxford, 1991, pp.77-78.

[١]بونيفياس الثامن : هو بنديتو كيتاني Benendetto Caetani، وُلد في مدينة أناجني Anagni بين عامي ١٢٢٠-١٢٣٠م، وكان ابنًا لأخت البابا ألكسندر الرابع Alexander IV (١٢٥٤-١٢٦١م)، وكان من اليساريين، وفي عام ١٢٦٣م، رافق الكاردينال سيمون أف بريا Simon of Brie للوعظ ضد الجبليين لصالح صليبية شارل دي أنجو الأول، وزار فرنسا في عام ١٢٩٠م كمبعوث بابوي، فأصبح منذ ذلك الحين معروفًا في فرنسا وغير محبوب فيها ـ وكان ذا شأن في عهد بابوية نيقولا الرابع؛ لذلك عندما اعتلى البابوية، كانت هذه الشخصية سببًا فى أن يدخل في صراعاتٍ عدة مع ملكي فرنسا وإنجلترا. راجع:-

Kelly,*The Oxford*, pp. 208-210; Kuhner, *Encylopedia*, pp. 99 – 102; Boase, T. S. R., *Boniface VIII* , London , 1933. pp.1- 10..

[2] Miller, *Essays on the Latin Orient*, p.286.

[٣]هايد، *تاريخ التجارة فى الشرق*، جـ٢، صـ١٠٢.

[٤] فيليب أف تارانتو، هو حفيد شارل الأول أف أنجو، ورث الحقوق السيادية لأسرة جده في الجزء اليوناني الفرنجي الذي يضم (آخايا Achaia، وأثينا Athens، وناكسوس Naxos، وألبانيا Albania، وتساليا Thessaly، وحاول بسط أملاكه على حساب الإمبراطورية البيزنطية، فمثل بذلك تهديدًا مستمرًا للإمبراطور البيزنطي. زواجه الأول كان من ثامار أف إبيروس Thamar of Epiros ابنة نيقفور الأول كومنينوس دوكاس Nikephoros I Komenenos Doukas (١٢٦٧–١٢٩٧م) في عام ١٢٩٤م، وبموجب هذا الزواج وُعد بالسيادة على إبيروس ولكن هذا الزواج انتهى بالطلاق ١٣٠٩م، وعليه قام فيليب بحملتين ضد إبيروس

للقسطنطنية إلى منحه لقب ملك آسيا الصغري وطاغيتها[١]، فضلاً عن هذا قام في عام ١٣١٧م بتوسيع نطاق أسرته في أراضي الفرنجة بشراء منطقة جالاندريتا Chalandrista الواقعة في المناطق النائية من باتراس Patras[٢] في البلوبونيز[٣]، وفي العام نفسه عرج على حصن جنوي قوي،- امتلك جزءًا منه- على البحر الرئيسي التركي، الذي ربما يكون فوكايا أو ميناء سيمرنا نفسه[٤]، وعليه يتضح أن استيلاء أسرة زكاريا على خيوس زاد من الآفاق الاقتصادية للأسرة، كما أنها جعلتهم في صراع مباشر مع الأتراك العثمانيين على ساحل الأناضول الغربي[٥]، الأمر دفع أحد المؤرخين إلى القول: "إن أسرة زكاريا تمكنت من الحفاظ على حيازتها لمنطقة فوكايا وكذلك أدرميت Adramyttion[٦] شمالًا نتيجة لجرأتهم العسكرية"[١]، ولا ننسى أيضًا حقيقة أن

وفشلتا، وأخرى ضد المورة ١٣٠٦م. أما في عام ١٣١٣م تزوج من كاثرين أف فالوا Catherine of Valios ابنة شارل أف فالوا Charles of Valios (١٢٧٠-١٣٢٥م)، وبموجب هذا الزواج طالب بحقه في عرش الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، وسعى لوضع خطة لاستعادتها، متخفيًا وراء شعار حرب صليبية لاستعادة الأراضي المقدسة، ولكن هدفه لم يتحقق أبدًا. راجع:

Laiou, A. E., Constantinople, pp. 42-43, 253-258; Longnon, *L'Empirer Latin de Constantinople et La Principauté de Morée*, Paris, 1949, pp. 272-274, 292-295, 302-304.

[١] هايد، *تاريخ التجارة فى الشرق*، جـ٢، صـ١٢٣.

[٢] باتراس، مدينة يونانية، عاصمة لـ Achaea تقع على خليج باتراس في شمال غرب البلوبنيز Peloponnese، ميناء تجاري للصادرات. راجع: Moore, *The Penguin*, p. 603.

[3] Lemerle, P., *L'émirat d'Aydin, Byzance et L'Occident: Recherches sur La gesta d'Umur Pacha*, Paris, 1957, p. 53; Topping, P., "The Morea 1311-1364", in: Setton, *A History of the Crusades*, Vol. III, The University of Wisconsin Press, 1995, p. 120.

مارتينو اشترى إقطاعية جالاندريتا من أمينو أف رانس Amino of Rans. انظر:

Loenertz, R. J., *Les Ghisi: Dynastes Vénitiens dans L'Archipel, 1207-1390*, Florence, 1975, p. 108.

أما عن البلوبونيز فهى جزيرة في بلاد اليونان، فيما مضى كانت المورة، تشبه ورقة التوت في الشكل، إلى الجنوب من الخليج الخاص به، يرتبط بوسط بلاد اليونان من خلال Isthmus of Corinth، مساحتها تبلغ ٢٦,٤٣٩ كيلو متر مربع. راجع:

Moore, *The Penguin*, pp. 605-606.

[4] William of Adam, *How to Defeat the Saracens*, ed. and trans. Giles Constable, Washington, 2012, pp. 65-67.

المعروف في هذا التاريخ أن فوكايا كانت تحت سيادة أسرة ديلافولتا، وهذا يجعل إشارة وليم آدم إلى القلعة المقسومة بين مارتينو زكاريا وبعض الجنوية تبدو إلى حدٍ بعيد قلعة في سيمرنا؛ لأن الأملاك الجنوية على البر التركي كانت غير مستقرة. راجع:

Zachariadou, Trade and Crusade, p. 8; Le merle, L'émirat d'Aydin, pp. 53-54.

[٥] تعد إمارة Aydin التي أسسها محمد بك أخطر الإمارات على أسرة زكاريا، لأنها امتدت من إفسوس Ephesos جنوبًا حتى سيمرنا شمالًا، فكانت بذلك الأقرب إلى فوكايا وخيوس. راجع: Carr, Trade or Crusade, p. 122.

[٦] هى مدينة على الشاطئ التركي الأوروبى على الدردنيل، وتقع تقريبًا فى مواجهة مدينة أبيدوس. راجع:-

حاتم الطحاوي، بيزنطة والمدن الإيطالية،صـ١١٢.

آل زكاريا لا زالوا يكسبون أموالًا كثيرة من احتكارهم لشحن الشب إلى الغرب الأوروبي، الأمر الذي عزز اقتصاد الأسرة؛ فالسجلات التي تعطي تفاصيلًا دقيقة عن تجارة الشب في هذا الوقت نادرة، لكن هناك إشارة إلى قيام ثلاثة أبناء لباليولوجس زكاريا – أنتوني Anthony وأوفريدو Aufredo ويوحنا John بتقديم دليلاً على استمرار تجارة آل زكاريا فى الشب، وتصديره إلى شمال وشمال غرب أوروبا لشركات صناعة القماش فى إنجلترا وفلاندرز[٢] وتصدير شحنة كبيرة إلى سوثامبتون وبيزا فيما بين عامي ١٣٢٢-١٣٢٠م، وهو ما قد يحدث من شحنه من فوكايا إلى خيوس[٣]، ويزعم أحد المؤرخين أنه بحلول عام ١٣٢٠م، بلغ دخل مارتينو زكاريا ١٢٠٠٠٠ هيبربيرا سنويًا، وهو ما يعادل تقريبًا خُمس إيرادات الإمبراطورية البيزنطية سنويًا في عهدا الإمبراطور أندرونيقوس الثالث Andronikos III (١٣٢٨-١٣٤١م)[٤]، وعلى ما يبدو أن هذه النجاحات لمارتينو زكاريا كانت نتاجاً للعائد الاقتصادى الكبير الناتج عن احتكار الأسرة لتجارة الشب.

تعطي المشاريع الصليبية التي كُتبت في العقود الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي تفاصيل دقيقة عن القدرات العسكرية لأسرة زكاريا، وبالتالي تعطي مؤشرًا جيدًا على مدى الازدهار الاقتصادي، الأمر الذي توضحه رؤية وليم آدم حينما قال: "... كان الأتراك يخشون الاقتراب لمسافة ١٢ ميل من خيوس بسبب أسرة زكاريا، الذين بقوا جاهزين في جميع الأوقات بمفردهم، حيث قاموا بتجهيز ألف جندي من المشاة ومائة من الفرسان، واثنتين من السفن الحربية المجهزة جيدًا ومسلحة بالكامل على نفقاتهم الخاصة"[٥] وهناك رواية أخرى

---

(1) Pachymérés, *Relations Historiques*, Tome IV, Liv. XII, no. 34, p. 608.

عن منطقة شرق المتوسط في أواخر العصور الوسطى. راجع:-

Jacoby, D., The Eastern Mediterranean in the later middle ages: an Island World? In; *Oup Corrected proof*, 2012, pp.93-117.

(2) Carr, Trade or Crusade, pp. 120-121.

يؤكد بعض المؤرخين على أن صناعة القماش فى شمال أوروبا في ذلك الوقت اعتمدت على تصدير الشب من الشرق. راجع:-

Ashtor, E., *Levant Trade in the leter Middle Ages*, New Jersy, 1983, pp. 4-6; Fryde, E.B.," The English cloth Industry and the Trade with the Mediterranean: c1370-c 1480", in Fryde, E.B., *Studies in Medieval Trade and Finance*, London, 1983, pp. 346- 348.

(3) Carr, Trade or Crusade, pp. 127-128; Ruddock, A. A., *Italian Merchants and Shipping in Medieval Southampton, 1270-1600*, Southampton University College, 1951, p. 81.

هناك إشارات تعود إلى عامي ١٣٢٢م و١٣٢٣م تشير إلى أن الشب كان واحدًا من السلع الرئيسية التي تصدر من خلال اثنين من الجنوية إلى سوثامبتون، وكذلك بيع الشب الصخري في بيزا. راجع:

Pegolotti, *La Ratica Della Mercatura*, p. 208; Ruddock, *Italian Merchants*, pp. 142-143.

(4) Cantacuzenus, I., *Eximperatoirs, Historiarum*, ed. Schopeni, L., in: ***CSHB***, Boon, 1828, Vol. I, p. 380; Pistarino, G., "Chio dei Genovesi", ***SM***, 10, 1969, p. 15.

(5) William of Adam, *How to Defeat the Saracens*, pp. 49-51.

عن التبشير بالحرب الصليبية في بدايات القرن الرابع عشر الميلادى راجع:- Georgiou,C., *Preaching the Crusades in the Early Fourteenth Century*, PhD. Dissertation University of Cyprus, 2015.

علقت على معدل السفن المستخدمة من قبل مارتينو زكاريا في هجومه ضد الأتراك بأنها "... كانت مطوقة بالحوائط الدفاعية المحمية بالأبراج الكبيرة والجيش مع وجود المنجنيق الخاص بأنواعه المختلفة ..."[١]، الأمر الذي دفع أحد المؤرخين إلى القول: "... إنه بحلول عشرينيات القرن الرابع عشر الميلادي أصبح مارتينو زكاريا قويًا لدرجة أنه أجبر عديدًا من حكام الأناضول على دفع الجزية ..."[٢]، ومن هذا وذاك يتضح أن مقدرة مارتينو على تحمل نفقات مثل هذا الجيش في جزيرته تعكس ازدهارها في عهده، مع افتراض وجود فائدة للرخصة التجارية الممنوحة من البابوية لصالح الأسرة[٣]، تلك الرخصة التي لعبت دورًا مهمًا فيما مكنه من الحفاظ على هذه القوة لأكثر من عقد من الزمان[٤]، فضلاً عن هبات البابوية من الأموال[٥]، تلك الرؤية التى تؤكد الفائدة الكبرى التى عادت على الأسرة من احتكارهم لتجارة الشب فى فوكايا وحوض البحر الاسود.

ليس هناك من شك في أن الأخوين زكاريا بنديتو الثاني ومارتينو قد استفادا من السمعة البطولية لأسرتهما التي اتخذتها من مآثرها ضد الأتراك، فبحلول ١٣٢٠م ذاعت شهرة مارتينو في أوروبا بفضل تقارير انتصاراته البحرية على الأتراك، وما حملته من مآثر عنه ظهرت جلية في كتابات وليم آدم حينما قال: "... لم يبق رجل، أي رجل أو امرأة أو كلب أو قطة أو أي كائن حتى تابع للأتراك في أي جزيرة قريبة من قوة سيد آل زكاريا ..."[٦]، فضلًا عن ذلك كانت هناك إشارة لمارتينو زكاريا على أنه "رجل مجتهد وشجاع ومخلص" حقق عديدًا من الانتصارات على الأتراك[٧]، والمُناظر البندقي مارينو سانودو قام بفرضية تعيين مارتينو كلاعب رئيسي في أسطوله المؤقت المعادي للأتراك[٨]، وعليه فقد يبدو أن عديدًا من الإمارات المسيحية جنوبي خيوس

---

(1) Anonyme, "Directorium ad Passagium Faciendum", in: ***RHG. Doc. Arm.,*** II Tomes, Paris, 1868-1906, Tome II, p. 457.

ناقش أحد المؤرخين آراء كتاب المشاريع الصليبية، وذكر أن هناك تطابقًا بين ما كتبه المؤرخ المجهول وما كتبه وليم آدم حول كيفية استعادة الكيان الصليبي، وخرج بنتيجة أن وليم آدم هو من كتب هذا المؤلَف، غير أن هذا لم يلقِ قبولًا لدى كثيرٍ من المؤرخين. راجع:- Leopold, A. T., *How to Recover the Holy Land, The Crusade Proposals of the Late Thirteen and Early Fourteenth Centuries*, Burlington, 2000, pp. 2-3, 43-4.

(2) Nikephoros, G., *Byzantina Historia*, ed. Ladwig, S. and Immanuel, B., 3 Vols., Bonn, 1829-55, Vol. I, p. 438; Argenti, The Occupation of Chios, Vol. I, p. 60.

(٣) عن هذه التراخيص. راجع:- Nigel Hill, J.A, *The Papacy and the Eastern Mediterranean 1305 – 1362*, PhD. Dissertation The University of Leeds School of History,2017.

(4) Carr, Trade or Crusade, pp. 128-129.

(٥) هايد، *تاريخ التجارة فى الشرق*، جـ٢، صـ١٢٣.

(6) William of Adam, How to Defeat the Saracens, p. 53; Gatto, L., "Per La Storia di Martino Zaccaria, Zaccaria, Signore di Chio", in: *Bullettino dell'Archivio Paleografico Italiano*, n.s.,2-3, Part 1, 1956-57, p. 329.

(7) Anonyme, Directorium, pp. 457-458.

(8) Marino Sanudo, T.,"Liber Secretorum Fidelium Crucis", in: Jacques Bongars (ed.), *Gesta per Francos*, 2 Vols., Hannover, 1661, reprinted Jerusalem Massada Press, 1972, Vol. 2, pp. 30-31; *The*

وأوروبا، نظرت إلى آل زكاريا على أنهم الدرع الدفاعي لجيرانهم المسيحيين ضد توسعات الأتراك[١]، الأمر الذي يؤكد على أن مارتينو زكاريا قد استخدم قوته وسمعته في تعزيز مكانته كحاكم لاتيني رئيسي في بحر إيجة؛ فعمل على تكوين روابط أقوى مع سادة الفرنجة في بلاد اليونان، ورسخ لسلالته الخاصة في المنطقة، حتى أنه بحلول عام ١٣٢٠م أصبح حاكمًا لخيوس منفردًا، وكذلك تشالاندريتا Chalandrista في المورة Morea والسيد الشرعي لأندريولو كاتانيو ديللا فولتا في فوكايا، وربما سيطر على قلعة وميناء سيمرنا فيما قبل ١٣٢٥م[٢].

على الرغم من أن حكم آل زكاريا لفوكايا وخيوس كان قصير الأجل، إلا أنه كان حلقة مهمة للغاية تحمل في سنواتها أحداثًا مثيرة في تاريخ بحر إيجة في العصور الوسطى، لتترك لنا إطلاق العنان في التفكير للوصول إلى الكيفية التي مكنت تلك العائلة من فرض هيمنتها في هذه المنطقة الحدودية المجزئة للغاية، وكيف حاولوا تحقيق التوازن بين الحاجة إلى تجارة آمنة مع الشرق، مع اتباع المُثل العليا للمقاومة البابوية بالطرق العسكرية ضد القوى الإسلامية هناك وفي مقدمتهم الأتراك، فنموذج إمبراطورية آل زكاريا ونموها التجاري واستحواذها على ممتلكات في بحر إيجة واحتكارها لتجارة الشب من هناك أسفر عن تنوع في النشاط التجاري دفعها دفعًا للاندماج مع القوى المسيحية الغربية، وفي مقدمتها البابوية؛ للدفاع عن الإيمان الكاثوليكي ضد التوغلات التركية.

Book of the Secrets of the Faithful of the Cross: Liber Secretorum Fidelium Crucis, trans., Peter Lock, Farnham: Ashgate, 2011, pp. 62-63.

(1) William of Adam, *How to Defeat the Saracens*, p. 53; Carr, Trade or Crusade, p. 129.

(2) Carr, Trade or Crusade, p. 122; Topping, The Morea, p. 120.

راجع:- Carr, Motivations and Respose, pp. 30-75عن النشاط الصليبي فى تلك الفترة Carr,M.,"The Hospitallers of Rhodes and Their Alliances Against the Turks 1306-1348", in: (eds.) Emanuel B. and Simon Ph., *Islands and Military Orders, c.1291–c.1798*, Farnham, Ashgate, 2013, pp.176-176; "Humbert of Viennois and the Crusade of Smyrna: A Reconsideration", in: *the Society for the Study of the Crusadesand the Latin East*, Vol. 13, Ashgate, 2014, pp.237-251.

سيطر أيضًا على داميلا Damala التي تبعد ميلًا عن أرجولدا Argolid بالمورة بالقرب من تروزين Troezen القديمة وفيلجوستا Veligosti جنوب وسط المورة، وهما تابعتان إلى أسرة لاروش La Roche، وحصل عليهما بموجب زواجه من الأمير جاكلين دى لاروش Jacqueline de La Roche. راجع:

Lutrell, A. T., "The Latins of Argos and Nauplia 1311-1394", in: *Papers of the British School at Rome*, 34, p. 52, not. (128).

عن الصراع فى بحر إيجة. راجع:- Zavagno, L. and Luigi, H., "Rota Fortunae: 13th-14th century Venetian in teractions with the Seljuk Sultanate, the Armenian Kingdom of Cilicia and the Aegean Beyliks", in: *conference entitled "Cultural Encounters in the Medieval period: The Italians in Anatolia during 12th-15th century*, Ankara on 12-13 May 2016, pp.135-166.

فضلًا عن هذا ساعدت التراخيص التجارية التي حصلت عليها أسرة زكاريا، من قِبل البابوية على فهم قدرة تلك الأسرة على تحقيق الأيدلوجية الدينية مع الدوافع التجارية، فهم بقدراتهم هذه استطاعوا إثبات أن مفهوم التجارة يمكن مزجه بالفكرة الصليبية، على الرغم من وجود اختلاف وتناقض بين أفكار البابوية والتجار العاملين في الشرق، وإساءة هؤلاء –التجار– بطريقة ما إلى الحركة الصليبية لتحقيق أهدافهم التجارية الخاصة، إلا أننا نرى أسرة زكاريا على العكس من ذلك، كيف أنها استطاعت ربط دفاعها عن طرق تجارتها مع دفاعها عن الإيمان الكاثوليكي، مما أسفر عن فوزهم بامتيازاتٍ تجارية –تراخيص– من قِبل البابوية فضلًا عن المكاسب الروحية التي من شأنها تسهيل النشاط المعادي للأتراك، إلا أن هذا الدعم الذي حصل عليه مارتينو زكاريا من البابوية والغرب كان سلاحًا ذا حدين في كسب الثناء من دعاة الحروب الصليبية، إلا أن موافقته على مساعدة فيليب أف تارانتو في تحقيق طموحاته الصليبية ضد الإمبراطورية البيزنطية، أغضب منه الإمبراطور أندرونيق الثالث وأمير أيدين، وعليه فمن سخرية القدر أن حماسته الصليبية المثالية التي جلبت له الشهرة في الغرب في نهاية المطاف، هي التي تسببت في سقوطه وفقدان أسرته سيطرتها على المجال في بحر إيجة[١].

وعليه يمكن القول بأن الدراسة التي بين أيدينا أسفرت عن عدة نتائج ترتبط بمدينة فوكايا، وأخري بأسرة زكاريا، وثالثة مشتركة بين الطرفين، سيتم عرضها في عدة نقاط رئيسة، أما التي تخص فوكايا، فهي كالآتي:
خضوع فوكايا لسيادة آل زكاريا أعطى لها تميزًا ملحوظًا، كمركز تجاري ومالى في محيط الأرخبيل اليوناني؛ لأن آل زكاريا كان لديهم من الرغبة المصحوبة بانفتاح تجارى جلب معه الثروة والمال، في الوقت الذى لم يتطور فيه أمراء كثيرون للجزر الأخرى؛ فلم يقدموا إلا الحاكم الطاغية، وتاريخهم مملوء بالخلافات الدخلية الناتجة عن الغيرة والضغينة فيما بينهم.
أما النتائج المتعلقة بآل زكاريا فهي كالآتي:–
أولاً:– كان آل زكاريا جزءًا لايتجزاء من الجنوية، ونشاطهم التجارى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط، إلا أنهم تناسوا مصالح الكومون الجنيوى، واهتموا بمصالحهم الشخصية، فتوسع نشاطهم التجارى، الذى مثل فصلاً هاما في تاريخ تلك الأسرة، فضلاً عن السمات الشخصية لكل من بنديتو الأول ومانويل زكاريا، التى شكلت العامل الرئيسي، لما وصلت إليه الأسرة من شهرة فى محيط شرق البحر المتوسط، وفتحت للأسرة أسواقاً فى شمال وغرب أوروبا، وكذلك فى أبعد نقطة من حوض البحر الأسود.
ثانياً:– ساعد أسرة زكاريا على تأسيس كيان تجارى قوي فى شرق البحر المتوسط، تلك المنطقة التي تتنازعها القوى المختلفة ثلاثة أمور هى مقدرتهم الدبلوماسية، والأخطار الخارجية المحيطة بالإمبراطورية البيزنطية عصر ميخائيل الثامن، وكذلك قدرتهم على تخطي العقبات التي تمثل خطرًا على التجارة البعيدة البحرية، خاصةً إذا ما أدركنا أن أسرة زكاريا كانوا أول من بدوأ الملاحة البحرية مباشرة من البحر المتوسط إلى غرب أوروبا، عبر بوابة

(1) Carr, Trade or Crusade, pp. 133-134.

مضيق جبل طارق، فأصبحوا بذلك نموذجًا يُحتذى به ليس فقط فى البحرية التجارية، بل أيضًا في صياغة العقود التجارية البحرية لتجار جنوا.

ثالثا:- أظهرت الدراسة الفارق البين بين أفكار أسرة زكاريا وأفكار نظائرهم من المدن التجارية الأخرى، حيث أنهم أظهروا حماسة صليبية، ربما كان سببًا فيها ما حققته من نجاحات تجارية تحت مظلة البابوية، مما جعلهم محاط أنظار كتاَّب المشاريع الصليبية فى بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، كقادة يُعتمد عليهم في تنفيذ تلك المشاريع، الأمر الذى يؤكده قيادة مارتينو زكاريا للجموع الصليبية فى هجومها على سيمرنا ١٣٣٤م، وبذلك استطاعوا المزج بين الأيدولوجية الدينية والدوافع التجارية متخطين بذلك أفكار المدن التجارية الإيطالية ونظرتهم النفعية للحركة الصليبية.

غير أن هناك نتائج مرتبطة بالطرفين معًا، كان أهمها:-

أدرك آل زكاريا كغيرهم من الجنوية منذ زمن غير بعيد أن شب فوكايا سيمثل لهم نقلة كبيرة لأهمية هذا المعدن، فحققوا بذلك ثروة كبيرة لم يتخيلها مانويل وبنديتو الأول، ووجودهم –آل زكاريا- فى فوكايا أعطى لها تميزاً تاريخياً وجعلها من الكيانات الاقتصادية فى شرق البحر المتوسط آنذاك.

قائمة الاختصارات الواردة فى حواشى البحث

CSHB: Corpus scriptorum historiae byzantinae

EHR: English Historical Review

JEH: Journal of Ecclesiastical History

JHS: The Journal of Hellenic Studies

Li: Liver

MHR: Mediterranean Historical Review

n: number

not: Footnote

ODB: Oxford Dictionary of Byzantium

RHG. Doc. Arm.: Recueils des historiens des Croisades, Documents arméniens Paris, (1869–1906)

SM : Schweizer Münzblätter

Vol.: Volume

Vols.: Volumes

WZKM: Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes.

أولا المصادر الأجنبية:-

Agricola Georgius, *De re Metallica 1556*, eds., Hoover, H.C., and Hoover, L.H., New York, 1950.

Anonyme, "Directorium ad Passagium Faciendum", in: ***RHG. Doc. Arm.,*** II Tomes, Paris, 1868-1906.

Argent, Ph. P. (ed.), *The Occupation of Chios by the Genoese and their Administration of the Island 1346-1566, Describes in Contemporary Documents and official Dispatches*, 3 Vols., Cambridge, 1958.

Belgrano, Luigi and Cesare Imperiale di Sant 'Angelo, eds. *Annales Ianuenses*. 5 vols.*Fonti per la storia d'Italia: secoli XII e XIII* (no. 11-14bis). Rome: Istituto Storico Italiano, 1890-1929.

Boniface VIII, Les Registres de Boniface VIII, ed. Georges, A.L.O. and others, Paris, 1906-1921.

Bratianu, G. I., Actes des notaires genois de pera et Caffa, Bucarest, 1927.

Cantacuzenus, I., *Eximperatoirs, Historiarum*, ed. Schopeni, L., in: ***CSHB***, Boon, 1828.

George Ioan Bratianu, *Actes des notaires génoy de pêra et de Caffa de La Fin du Treizieme Siécle, 1281-1290*, Bucarest, 1927.

Kantakouzenos, J., Ioannis Cantacuzeni eximperatoris Historiarum Libri IV, ed. Ludwing, S., and Barthold, G. N., 3 Vols. Bonn, 1828-1832.

Marino Sanudo, T.,"Liber Secretorum Fidelium Crucis", in: Jacques Bongars (ed.), *Gesta per Francos*, 2 Vols., Hannover, 1661, reprinted Jerusalem Massada Press, 1972.

———————, *The Book of the Secrets of the Faithful of the Cross: Liber Secretorum Fidelium Crucis*, trans., Peter Lock, Farnham: Ashgate, 2011.

Michael Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, Trans. By, Harry, J. Magoulias, Detroit, 1976.

Miklosich, F., and Müller, J., (eds.), *Acta et diplomata graeca medii aevi*, 6 Vols., Vienna: Gerold, 1860-1890.

Nikephoros, G., *Byzantina Historia*, ed. Ladwig, S. and Immanuel, B., 3 Vols., Bonn, 1829-55.

Pachymeres, G., *Relations Historiques*, V Tomes, ed. A. Failler, Traduction Francaise Parv. Laurent, Paris, 1984-2000.

Pegolotti, F.B., *La Pratica Della Mercatura, ed. Allan Evans,* Cambridge, MA: Medieval Academy of America, 1936; reprinted New York: Kraus, 1970.

Ramon Munater, *The Catalan Expedition to the East: from the Chronicle of Ramon Muntaner*, trans. Robert Hughes, Barcelona, 2006.

Renée Doehaerd , (ed.), Les relations Commerciales entre Gênes, La Belgique et L'Outremont d'aprés Les archives notariéles génoises aux XIII et XIV Siécles, 3 Vols., Brussey, Palais des Académies, 1941.

Sauli, D.L., Della Colonia dei Genovesi in Galata, Tomo 2, Torno, 1831.

William of Adam, *How to Defeat the Saracens*, ed. and trans. Giles Constable, Washington, 2012.

William of Rubruck, *The Mission of Friar William of Rubruck, his Journey to the Court of the Great Khan Monko, 1253-1255*, trans. by, Peter Jackson, London, 1990.

ثانياً المراجع الأجنبية:-

Ashtor, E., Levant Trade in the leter Middle Ages, New Jersy, 1983.

Aygün, C.Ö., "The Flesh eating Stone: alum mining and trade in Asia Minor La pietra che divora la carne: estrazione e commercio di allume in Asia Minore ", in: eds. Dallai, L., Bianchi, G., and Stasolla, F. R., *I Paesaggi dell allume Archeologia della Produzione ed Economia di rete*, Sesto Fiorentino (FI), luglio, 2020, pp.175-182.

Balard, M., *Genes et L'Outre-Mer, Les Actes Caffa du notaire Lamberto di Sambuceto 1289-1290*, II Tomes, Paris, 1973.

_____, *La Romanie Genoise (XII^{e}-Debut du XV^{e} Siécle)*, II Tomes, Genova, 1978.

_____, "The Genoese in the Aegean (1204-1566)", in: ***MHR***, Vol. 4, 1989, pp.158-174.

_____, "Latins in the Aegean and the Balkans (1300-1400)", in: Jonathan,Sh.(ed.), *The Cambridge History of the Byzantine Empire, 500-1492*, Cambridge, 2008, , pp. 178 – 211.

_____, *Genes et Lamer Genova eilmare*, Genova, 2017.

Becker, B.N., *Life and Local Administration on Fifteenth Century Genoese Chios*, ph.D Dissertation, Western Michigan University, 2010.

Bent, Th., "The Lord of Chios", in: ***EHR***, ed. Mandell Crelghton, Vol. IV, London, 1889, pp. 467-480.

Bioteux, L., "La Fortune de Mer Le besoin de Sécurité et Les débuts de L'assurance maritime", *Ecoles des Hautes Etudes*, Paris, 1968, pp. 66-68.

Boase, T. S. R., *Boniface VIII* , London , 1933.

Bratiaun, G. I., *Recherches sur le commerce génois dans La Mer Noire au XIIIe Siécle*, Paris, 1929 .

Braudel, F., *Civilisation matérielles, économies et Civilisations*, Armand Collin, III Tomes.,1979.

Brewster, D., *The Edinburgh Encyclopedia*, Edinburgh, 1830.

Briys, E. and Beerst, D.J., "The Zaccaria Deal Contract and options to found a Genoese Shipment of alum to Bruges in 1298", *presented at XIV international Economic History Congress*, Helsinki, Aug. 2006, pp. 1-133.

Byrne, E., *Genoese Shipping in the twelfth and thirteen Centuries*, The Medieval Academy of America, 1915.

_____,"commercial contracts of the Genoese in the Syrian trade of the twelfth Century", in: *Quarterly Journal of Economics*, 31, pp. 128-170.

Cahen, C., *The Formation of Turkey: The Seljukid Sutanate of Rum: Eleventh to Fourteenth Century*, London, 2014.

Carr, M., *Motivations and Response to Crusades in the Aegean: c.1300-1350*, PhD Dissertation, Royal Holloway, University of London, 2011.

_____,"The Hospitallers of Rhodes and Their Alliances Against the Turks 1306-1348", in: (eds.) Emanuel B. and Simon Ph., *Islands and Military Orders, c.1291–c.1798*, Farnham, Ashgate, London, 2013, pp.167-176.

_____, "Trade or Crusade? The Zaccaria of Chios and Crusades against the Turks", in: Nikolaos, G. Ch. And Mike Carr (eds.), *Contact and Conflict in Frankish Greece and the Aegean, 1204-1453, Crusade, Religion, and Trade between Latins, Greeks and Turks*, Ashgate, London, 2014, pp. 115- 134.

_____,"Humbert of Viennois and the Crusade of Smyrna: A Reconsideration", in: *the Society for the Study of the Crusadesand the Latin East*, Vol. 13, Ashgate, 2014, pp.237-251.

Çavuşdere, S.," Ege'de Türk-İtalyan Hububat Ticareti (13.-14. Yüzyıllar" [Turkish Italian Wheat Trade in the Aegean Sea (13-14th c.)], *Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih Coğrafya akültesi Tarih Bölümü Tarih Araştırmaları Dergisi* ,Vol. 28, Issue: 46, Ankara, 2009, pp. 275-304.

Cormack,R., *Icons*, Harvard University, 2007.

Day, J., *Les Monnaies et Marchés au Moyen Age, Comite Pour L'Histoire Economique et Financière, Ministère de L'Economie*, Paris, 1994.

Delumeau, J., "L'alun de Rome XV^{e} XIX^{e} Siécle", in: *Ecole Prtique de Hautes Etudes, VIe Section, Centre de Recherches Historiques, Ports-Routes-Trafics XIII*, 1962.

Doehaerd, R., "Les gelerés Génoises dans La Manche et La Mer du Nord é la Fin du XIIIe et au début du XIVe Siécle", in: *Bulletin de Institut Historique Belga de Rome*, Tome XIX, 1938, pp. 5-76.

Epstein, S.A., *Genoa and the Genoeses, 958-1528*, University of California Press, 1996.

_____, *Genoa and the Genoese, 958-1528*, The University of North Carolina Press, 2001.

Ersan, M., "Yüzyıllarda Şap Ticareti ve Şebinkarahisar [Alum Trade in the 13-14th Centuries and Şebinkarahisar", *ebinkarahisar 1. Tarih ve Kültür Sempozyumu, 30 Haziran* - XIII-XIV, Istanbul 2000, pp.55-62.

Eyice, S., Galata (Galata'daki Türk Eserleri) [Galata (Turkish Monuments in Galata)],*İslam Ansiklopedisi* (Vol. 13, pp. 307-313), TDV, Istanbul, 1996.

Faroqhi, S.P., "Alum production and Alum Trade in the Ottoman Empire (about 1560-1830)", in: ***WZKM***, 71, Vienna, 1979, pp.346-348.

Fiaccadori, G.,"Kerasous", in: ***ODB***, New York& Oxford, 1991.

Fleet, K.H., *Trade Relations Between the Turks and the Genoese, 1300-1453*, PhD. Dissertation Submitted to University of London, 1993.

Fleet, K., *European and Islamic trade in the Early Ottoman State, the Merchants of Genoa and Turkey*, Cambridge, 2004.

Fryde, E.B.," The English cloth Industry and the Trade with the Mediterranean: c1370-c 1480", in Fryde, E.B., Studies in Medieval Trade and Finance, London, 1983.
Gatto, L., "Per La Storia di Martino Zaccaria, Signore di Chio", in: *Bullettino dell'Archivio Paleografico Italiano*, n.s.,2-3, Part 1, 1956-57, , pp. 325-345.

Geirnaert, N., Het Archef Van de Familie Adornes en Van de Jeruzalemsti chating, II Tomes., Bruges, 1989.

Gelderblom, O., "Cities of Commerce The Institutional Foundations of International Trade in the Low Countries, 1250-1650", Book manuscript, December 2010.

_____, *Violence and Growth. The Protection of long distance trade in the low Countries, 1250-1650,* Utrecht University, 2015.

Georgiou,C., *Preaching the Crusades in the Early Fourteenth Century*, PhD. Dissertation University of Cyprus, 2015.

Gregory, T., E., *A History of Byzantium,* John Wiley & Sons, Singapore, 2011.

Grierson,Ph., *Byzantine Coinage*, Washington,1999.

Heers, M.L., "Les Gênois et Le Commerce de L'alun a la Fin du Moyen Age", in: *Revue d'Histoire Economique et Sociale*, Vol. 32, 1954, pp.37- 53.

Hunt, E. S., *A History of Business in Medieval Europe, 1200-1550,* Cambridge University Press, 1999.

Haskins, C.H., *The Normans in European History*, Cambridge,1915.

Inalcik, H. and Quataert, D., (eds.), *An Economic and Social History of the Ottoman Empire*, Vol. 1, 1300-1600, Cambridge, 1999.

Jacoby, D., "Cretae Venezia nel contesto Economico del Mediterraneo Orientale sino alla meta del Quattrocento", in: Gherardo Ortalli (ed.), *Venezia e Creta: atti del Convegno internazionale di studi*, Venice, 1998. , pp.73-106.

_____, "Production et Commerce de L'alun Oriental en Méditerranée, XI^{e}-XV^{e} Siécles", in: Borgard, Bvun and Picon (eds.), *L'alun de Méditerranée*, pp. 219-67.

_____, The Eastern Mediterranean in the later middle ages: an Island World? In; Oup Corrected proof, 2012.

_____, "Western Commercial and Colonial Expansion in the Eastern Mediterranean and the Black Sea in the Late Middle Ages", in: ed. Gherardo Ortalli and Alessio Sopracasa *Rapporti Mediterranei, Pratiche Documentarie, Presenze Veneziane: Le Reti Economiche e Culturali (XIV - XVI Secolo)*, Venezia, 2017, pp. 3-50.

Jehel, G., *Les Génois en Méditerranée Occidentale (fin XIème - début XIVème siècle). Ebauche d'une stratégie pour un empire*,Centre d'histoire sociale, Presses de l'Université de Picardie, 1993.

Kedar, B. Merchants in Crisis, Genoese and Venetian Men of Affairs and Fourteenth Century depression, Yale University Press, 1976.

Kelly. J. N.O., *The Oxford Dictionary of Popes*, Oxford, 1996.

Kohn, M., *The Origins of Western Economic Success: Commerce, Finance and Government inpre-Industrial Europe*, Mimeo, 2005.

Kuhner ,H., *Encylopedia of the Papacy* , London , 1959.

Laiou, A. E., Constantinople and The Latins: the foreign policy of Andronicus II, 1882-1328, Harvard University Press, 1972.

_____, "Exchange and Trade Seventh-Twelfth Centuries" in: Laiou, A.E., (Ed.), *The Economic History of Byzantium: from the Seventh through the Fifteenth Centuries,* Do, Washington, 2002, pp. 697-770.

Larranaga, M.D.,**Lewis, R.J., Sr. Lewis, R.A.**, *Hawley's Condensed Chemical Dictionary*, New Jersey, 2016.

Le Goff, J., *Un Autre Moyen Age*, 1999.

Leopold, A. T., *How to Recover the Holy Land, The Crusade Proposals of the Late Thirteen and Early Fourteenth Centuries*, Burlington, 2000.

Lemerle, P., *L'émirat d'Aydin, Byzance et L'Occident: Recherches sur La gesta d'Umur Pacha*, Paris, 1957.

Liagre, L., "Le Commerce de L'alun en Flandre au Moyen age", in: *Le Moyen Age,*Vol. LXI, 1955, pp. 177- 206.

Loenertz, R. J., *Les Ghisi: Dynastes Vénitiens dans L'Archipel, 1207-1390*, Florence, 1975.

Longnon, *L'Empirer Latin de Constantinople et La Principauté de Morée*, Paris, 1949.

Lopez, R. S., *Genova Marinara nel duecento. Benedetto Zaccaria, ammiraglioe mercante*, Messina: G. principato, 1933.

_____, *Benedetto Zaccaria ammiraglioe mercante nella Genova del Duecento*, 1933, Prezzo di Copertina, 2004.

_____, Studi Sull, Economia Genouese nel Medio Evo, I, Genouesi in Africa Occidentale Le Origini dell árte della lana, Turin, 1936.

_____ *Storia delle Colonie Genouesi nel Mediterraneo*, Prezzo di copertina, 1938.

_____," The Dollar of the Middle Ages", ***JEH***, Vol. 11, No. 3, part 1,(Summer 1951), , pp. 209-234.

_____, "Majorcans and Genoese on the North Sea Route in XII Century", in: *Revue Belge de Philosophie et d'Histoire*, Tome XXIX, pp. 1163-1179.

_____, "The Trade of Medieval Europe: The South", in: ed. M.M. Poston and Edward, Cambridge Economic History of Europe, M., Vol. II, London and New York, 1987.

Lutrell, A. T., "The Latins of Argos and Nauplia 1311-1394", in: Papers of the British School at Rome, 34,Nov. 1966 , pp 34 – 55.

Matschke, K. P., "Commerce, Trade, and Money: Thirteenth- Fifteenth Centuries", in: ed. Laiou, A.E., *The Economic History of Byzantium*, Washington, D.C, 2002.

Mazarkis, M.,"A Martinello of Manuele and Paleologo Zaccaria (1307-1310)", trans, Marion, J. Tzamali, *Nomismatika Chronika*, 18, 1999, pp. 111-118.

Miller, W., " The Zaccaria of Phocaea and Chios", in: ***JHS,*** Vol. XXXI, London, 1911, pp.42-64.

_____, *Essays on the Latin orient*, Cambridge, 1921.

Miller, E., et al., *The Cambridge Economic History of Europe: Trade and Industry in the Middle Ages*, 1987.

Musarra, A.," Benedetto Zaccaria e al caduta di Tripoli (1289): le difesa di Outremer traragioni ideali e opportunism", in ed. A. Musarra, *Gli Annali e la Terrasanta.* Atti del Seminario di Studio (Firenze, 22 febbraio 2013), SISMEL - Edizioni del Galluzzo, 2014, pp. 219-237.

Moore, W.G., *The Penguin Encyclopedia of Places*, New York, 1978.

Nicol, D., M. *Byzantium and Venice: A Study in Diplomatic and Cultural Relations,* Cambridge University Press, Cambridge, 1992.

_____, M., *The Last Centuries of Byzantium, 1261-1453*, Cambridge University Press, Cambridge,1993.

Nigel Hill,J.A, *The Papacy and the Eastern Mediterranean 1305 – 1362*, PhD. Dissertation The University of Leeds School of History,2017.

Pattison,J.S., Trade and Religious Boundaries in the Medieval Maghrib: Genoese Merchants,their Products, and Islamic Law, PhD. Dissertation in University of California, 2019.

Penna, D., *The Byzantine Imperial Acts to Venice, Pisa and Genoa, 10-12thCenturies,* Eleven International Publishing, Den Haag, 2012.

Piri Reis, *Kitab-ı Bahriyye - Denizcilik Kitabı* [The Book of Navigation], ed. Senemoğlu, Y.T., Vol. 1, Istanbul, 1973.

Pistarino, G., *Genovesi d'Oriente, Civico Istituto Colombiano Studi e Testi*, Genoa, 1990.

Pistarino, G., "Chio dei Genovesi", ***SM***, 10, 1969, pp. 3-68.

Postan, M. M., The *Cambridge Economic History of Europe: Trade and Industry in the Middle Ages*, Cambridge, 1966.

Renouard, Y., *Les Hommes d'Affaires Italiens au Moyen Age*, Paris, 1949.

Reynolds, R.L, "in Search of a business class in the Thirteen Century Genoa", in: ***JEH***, 5, 1945, pp. 1-19.

Richard, J.,"Le Royaume de Chypre et L'embargo sur Le Commerce avec l'Egypte (Fin XIII^{e}-debut XIV^{e} Siécle", in: *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,*1984, pp. 120-134.

Rodriguez,J.I, Micer Benedetto Zaccaria, Primer Señor de elpuerto y su tiempo, in Revista de historia de El Puerto, 4, 1990, pp. 39-53.

Rohan, P., The Genoese Levantine Colonies at the Birth of Ottoman Imperial power: a framework for inquiry, MA in Istanbul Şehir University, 2015.

Ronciere, C. de La, La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. Cartographiez et Exporateurs, société Royale de Géographie d'Egypte, 3 Vols., Paris, 1924.

Ross, M.C., *Metalwork, Ceramics, Glass, Glyptics, Painting*, Dumberton Oaks,Washington D.C., 1962.

Ruddock, A. A., *Italian Merchants and Shipping in Medieval Southampton, 1270-1600*, Southampton University College, 1951.

Saĝlam,H.S.,*Urban Palimpsest at Galata & an Architectural inventory study for the Genoese Colonial Territories in Asia Minor*, PhD Dissertation in Milano University, 2018.

Sayous, A., "Les transformations des méthodes Commerciales dans L'Italie Médiévale", in: *Annales d'Histoire Economique et Sociate*, Tome I, 1929, pp. 161-176.

Schein, S., *Fideles Crucis: The Papacy, the West, and the Recovery of the Holy Land 1274-1314*, Oxford, 1991.

Sinclair, T., "Eastern Trade and the Mediterranean in the Middle Ages: Pegoloti's Ayas-Tabriz Itinerary and its Commercial Context", in: *Birmingham Byzantine and Ottoman Studies*, 25, New York, Routledge, 2019.

Singer, Ch., *The Earliest Chemical Industry: an essay in the historical relations of economics and technology illustrated from the alum trade*, with a preface by Derek Spence, London, 1948.

Theodore, N.," The Lord of Chios", in: ***EHR***, Vol. IV, London,1889, pp.467-480.

Topping, P., "The Morea 1311-1364", in: Setton, *A History of the Crusades*, Vol. III, The University of Wisconsin Press, 1995. , pp. 104-140.

Wright, C., *The Gattilusio Lordships and the Aegean World 1355-1462*, Leiden, Boston, 2014.

Zachariadou, E. A., *Trade and Crusade, Venetian Crete and the Emirates of Mentesha and Aydin*, Venice, 1983.

Zavagno, L. and Luigi, H., "Rota Fortunae: 13th-14th century Venetian in teractions with the Seljuk Sultanate, the Armenian Kingdom of Cilicia and the Aegean Beyliks", in: *conference entitled "Cultural Encounters in the Medieval period: The Italians in Anatolia during 12th-15th century*, Ankara on 12-13 May 2016, pp.153-166.

ثالثاً المراجع العربية والمعربة:-

اسحق عبيد، *الدولة البيزنطية فى عصر ميخائيل باليولوجس (١٢٦١ - ١٢٨٢ م)*،دار الكتب، بيروت، دت.

دونالد نيكول، معجم *التراجم البيزنطية*، ترجمة وتعليق/ حسن حبشى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

حاتم الطحاوى، *بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية(١٠٨١-١٢٠٤)*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ، ١٩٩٨م.

عادل زيتون، *العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى "بحث فى النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ق ١٢-١٤"*، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٠م.

عفاف سيد صبره، *العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر وبلاد الشام في الفترة من ١١٠٠-١٤٠٠*م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

محمد إبراهيم خلف، دور عائلة زكريا الجنوية في تجارة المصطكي بجزيرة خيوس ١٣٠٤-١٣٢٩، بحث منشور في مجلة وقائع تاريخية بمركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٣٤ يناير ٢٠٢١م، صـ ١٢٥- ١٦٦.

محمود سعيد عمران، النقود في أوروبا العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م.

نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٠م.

هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ٤ أجزاء، ترجمة أحمد رضا محمد، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.